دلالة الولاية ومَنقبة التصدق بالخاتم في آية(٥٥) من سورة النساء، قال تعالى :

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [المائدة:٥٥]

دراسة تحليلية، ودلالية، ونحوية

الأستاذ المساعد الدكتور
علي رحيم هادي الحلو

مقدمة

حمدًا لله الذي لـه الحمدُ كلُّه أولاً وآخرًا ،والصلاة والسلام على نبيِّه الأكرمِ محمدٍ المصطفى (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين) ،وعلى صحبه المُنتَجَبِين الذين اتبعوه بإيمان وإحسان إلى يوم الدين .

لقد تَعَرّضتُ لبحث آية اختلف العلماء في دلالاتها أيّما خلاف ،وكان ذلك بدوافعَ مُتباينة ، تنوعت بين تحري الصواب والموضوعية ،وإصابة الحق ،وبين إغماض العين والبصيرة على الهوى ومجانبة الحق الصُّرَاح ، الذي لا يَخْفَى على طلابه من ذوي البصائر .

وكان منهج البحث يقتضي أن أقسمه على أربعة مباحث . بعد هذه المقدمة . .

تناولتُ في **المبحث الأول** معاني ألفاظ الآية الكريمة ،وتراكيبها ،وتعبيراتها لتقودنا إلى المعنى العام المراد منها . وضمّ **المبحث الثاني** قسمين ،بيّنت في القسم الأول علاقة الآية بما قبلها من الآيات ،وكذا علاقتها بالآيات التي بعدها ،وهذا ما سميته بـ : نظم الآية . وفي القسم الثاني ذكرت أسباب نزول الآية الكريمة ، وحَلّلت ذلك ، وناقشت الروايات في ذلك .

وجاء **المبحث الثالث** في بيان معنى الآية المباركة ، وما قيل في دلالاتها ،وما تراءى لي من معنى بعد عرض آراء العلماء ،وتحليلها ،ومناقشتها .

وقسَّمتُ **المبحثَ الرابع** على قسمَين ، ضمّ القسم الأول إعرابًا مُفَصّلاً لجمل الآية الكريمة ؛ لعلاقة ذلك كلّه بالمعنى والدلالة . وحاولت في القسم الثاني . خاتمة البحث . أن أخرج بنتائج موضوعية دقيقة، بعيدًا عن العاطفة والتحيّز ، متحرّيًا الهدف الذي تبغي الآيةُ المباركة تقريرَه ،وأن تجعله حكمًا ،وفرضًا يجب الأخذ به ،وترسيخه بعد إبانته ؛ لغرض اتخاذه مثالا يُقتدى به من لدن الناس جميعًا ، وفي الأزمان كلها ، وفي بِقاعِ الدنيا عامة .

وقدّمت بعد ذلك مَسْرَدًا بالمراجع والمصادر التي أخذت عنها ،واستقيت منها ،والتي سبقني مؤلفوها في تحليل الآية ،وأفصحَت عن آرائهم ،ونقاشاتهم مذاهبَ من سبقهم ، وكذا الوقوف عند مذاهبهم في الدلالات التي احتملتها تعبيرات الآية الكريمة .

وفق الله أهل القرآن الذين نَصَحُوا لله تبارك وتعالى ، ولرسوله الأمين (صلى الله عليه وآله). اللهم واجعلنا من السّاعِين في إبانة الحق ، الذابِّين عن أهله . والحمد لله رب العاملين .

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)
[المائدة:٥٥]

المبحث الأول : اللغة

إنّما : إنّ: حرف توكيد مشبه بالفعل ، كَفَّتْهُ (ما) عن العمل . ما : كافة مزيدة للتوكيد .

وليّكم : وليّ : بصيغة (فَعيل) بمعنَى (فاعل) . هنا . من الثلاثي (وَليَ) . وأصل مادته تفيد القرب ،والنصرة ،والرعاية ،والحماية ،والتبعيّة. والوَلِيّ : من أسماء الله الحسنى .

ويفيد معانيَ أخرى ،نحو : التولّي: بمعنى التخلّي والبعد ،وهو خلاف أصل معناه .

وفي الآية . هنا . يحتمل المعاني الأولى ،فقد (فُسِّر بالناصر ،أو المُتَوَلِّي الأمر ،أو المُحِبّ ثلاثة أقوال)[١].

قال ابن دريد : (الوِلاء :مصدر والَيتُ بين الشيئين مُوالاةً ،ووِلاءً .

والوَلاءُ : مصدر مَوْلًى ، بيّن الوَلاء . والوِلاية الإمارةُ . والوَلِي خلافُ العَدو..

ودار فلانٍ وَلْيُ دارِ فلانٍ ، إذا كانت تليها ، والدار وَلْيَة ، قريبة)[٢] .

وقال ابن فارس: (ولى : يدلُّ على قرب ،من ذلك الوَلْيُ : القرب . يقال : تباعَدَ بعد وَلْيٍ ، أي: قَرُب ،وجلس مما يليني ، أي : يقاربني . والوَلِيُّ : المطر ، يجيء بعد الوَسْمِيِّ ، سُمّي بذلك لأنه يلي الوَسْمِيَّ .

ومن الباب المَوْلَى : المُعْتِق ، والمُعْتَق ، والصاحب ، والحليف، وابن العم، والناصر ، والجار كُلُّ هؤلاء من الوَلْي ، وهو القرب ، وكل من وَلِيَ أمرَ آخر، فهو وليُّه ، وفلان أولى بكذا . أي : أحرى به ، وأجدر . فأما قولهم في الشتم: أولى لك ، فحدثني علي بن عمر ، قال: سمعت ثعلبًا يقول: أولى تهَدُّدٌ ووعيد ، وأنشد:

فأَوْلَى ، ثم أَوْلَى ، ثم أَوْلَى وهل للدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدِّ

وقال الأصمعي : معناه : قارَبَه ما يُهْلِكُه ، أي : نزل به ، وأنشد :

فعادَى بين هادِيتَين منها وأَوْلَى أن يَزيد على الثلاثِ

أي : قاربَ أنْ يزيد .

قال ثعلب: ولم يقل أحدٌ أحسنَ مما قاله الأصمعيُّ في أَوْلَى . وقال غيره: أولى تَحسيرٌ له على ما فاته . والوَلاء : المُوالون . يقال : هؤلاء وَلاءُ فلان . والوَلاء أيضًا: ولاءُ المُعْتَق ، وهو أن يكون ولاؤه لمُعتقِه ، كأنه يكون أولى به في الإرث من غيره ،إذ لم يكن للمُعْتِق وارث

---

(١) البحر المحيط ٥١٣/٣ .

(٢) جمهرة اللغة٢٣٣/١،مادة(ولي) ،و ٣٧٩/٢.

نسبٍ..ووالَيت بين الشيئين ، إذا عادَيْتَ بينهما وِلاءً . وأفعَل هذا على الوِلاء، أي : مُرَتِّبًا . والباب كلّه راجع إلى القُرب)[٣].

وقال الراغب: (الولاء والتوالي أن يحصُل شيئان فصاعدًا ، حُصُولاً ليس بينهما ما ليس منهما ،ويُستعار ذلك للقرب من حيثُ المكانُ ، ومن حيثُ النسبةُ ، ومن حيثُ الدِّينُ ، ومن حيثُ الصداقةُ ، والنصرةُ والاعتقادُ . والوِلايةُ النصرةُ، والوَلاية الأمر ، وقيل: الوِلاية والوَلاية نحو الدِّلالة والدَّلالة ، وحقيقته تولّي الأمر. والوَلِيّ والمَوْلَى يستعملان في ذلك ،كل واحد منهما يقال في معنى فاعل ،أي : المُوالي ، وفي معنى المفعول ،أي : المُوالَى يُقال للمؤمن هو وليُّ الله عَزَّ وجلَّ ،ولم يَرِدْ مولاه ،وقد يقال : اللهُ تعالى وليُّ المؤمنين ومولاهم ، فمن الأول قال الله تعالى : ﴿ اللهُ وليُّ الذين آمنوا﴾ [البقرة:٢٥٧]..وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إلى اللهِ مَولاهُمُ الحقُّ﴾ [الأنعام:٦٢] .والوالِي الذي في قوله تعالى : ﴿وما لَهُم مِن دُونِه مِن والٍ﴾ [الرعد:١١]. بمعنى الولي . ونفى الله تعالى الولاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية،فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة :٥١]. وجعل بين الكافرين والشياطين موالاةً في الدنيا ، ونفى بينهم الموالاة في الآخرة ،فقال في موالاة الكفارِ بعضِهم بعضًا : ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١].وقولهم: تولّى ، إذا عُدِّي بنفسه اقتضى معنى الوِلاية،وحُصُوله في أقرب المواضِع منه، يقال : ولَّيْتُ سمعي كذا ، وولَّيْتُ عيني كذا،وولَّيت وجهي كذا ،أقبلت به عليه ،قال الله عز وجل :

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة:١٤٤]..وإذا عُدِّي بـ(مِن) لفظًا أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض ،وترك قُرْبه ،فمن الأول قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فإنّه منهُم﴾[المائدة:٥١].ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران:٦٣]..والتَّوَلّي قد يكون بالجسم ،وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار ، قال عزّ وجلّ : ﴿ولا تَوَلَّوا عنهُ وأنتُم تَسمَعون﴾ [الأنفال:٢٠]،أي : لا تفعلوا ما فَعَل الموصوفون بقوله جل ثناؤه : ﴿واسْتَغْشَوا ثِيابَهُمْ وأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا﴾ [نوح:٧]..ويقال : ولاّه دُبُرَه إذا انهزم ، قال تعالى : ﴿وإنْ يُقاتِلُوكُم يُوَلُّوكُم الأَدْبارَ﴾ [آل عمران:١١١])[٤].

وقال أبو حيان : (وأصل التَّوَلِّي أن يكون بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأمور

---

(٣) مقاييس اللغة٦/١٤١.١٤٢،مادة(ولي).وينظر: أساس البلاغة/٥٠٩.ومختار الصحاح/ ٧٣٦.٧٣٧.ولسان العرب٩/٤٠٥.والمصباح المنير ٢/٦٧٢. ٦٧٣.والمعجم الوسيط٢/ ١٠٥٧.١٠٥٨.والمعجم الوجيز/٦٨٢.

(٤) المفردات/٥٣٢.٥٣٥،مادة(ولي) .

والأديان والمعتقدات ؛ اتساعًا ومجازًا)(٥).

يقول المصطفوي : (إنّ الأصلَ الواحد في المادة هو وقوع شيء وراء شيءٍ مع رابطة بينهما.. وإنّ الإعراض يكون من مصاديق الأصل ، إذا كان بمعنى الوقوع فيما وراء الأمر الأول ، أي الخروج عن البرنامج المعهود إلى ورائه.. فهو الوقوع فيما وراء شيء سواء كان بنظر التربية والتدبير كما في مقام الولاية ، أو بنظر الخلاف والعداوة ، والإعراض كما في وقوعٍ في محلّ في مقابل شيءٍ ، وفي جهةِ الإدبار منه)(٦).

وردت صيغ مختلفة من مادة (ولي) في القرآن الكريم في (٢٣٢) اثنين وثلاثين ومئتي موضع(٧) ، وعلى وفق دلالتها التي استعملتها فيها اللغة .

كم : الكاف : ضمير المخاطبين بدلالة ميم الجمع .ويجوز أنه قصد بهذا الخطاب المؤمنين حصرًا ، ويجوز أنه قصد كلّ خلقه .

الله : قدم العلماءُ مباحثَ كثيرة ،ومثيرة في لفظ الجلالة،من حيث اشتقاقه،ودلالته،وقَصرُه على الذات الإلاهية، واختصاصه به ،واستعماله في اللغة ، وتعريفه وتنكيره ، وتثنيته وجمعه، إلى غير ذلك من الدراسات .

قال ابن عطية : (والمكتوبة التي لفظُها (الله) أبهرُ أسماء الله تعالى وأكثرها استعمالاً، وهو المتقدم لسائرها في الأغلب ،وإنما تجيءُ الأُخَرُ أوصافًا)(٨).

وقد أُختُلِف في أصل لفظ الجلالة (الله) ، أمشتقٌ هو أم جامد ؟

قال ابن فارس : (أَلِه : الهمزة واللام والهاء ، وهو التعبد ، فالإله الله تعالى، وسُمِّي بذلك لأنّه معبود .ويُقالُ تألّه الرجل ،إذا تعبّد)(٩).

وقال ابن عطية : (واختلف الناس في اشقاقه فقالت فرقة من أهل العلم : هو اسم مرتجل لا اشتقاق له من فعل ، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى ؛ والألف واللام لازمة له لا لتعريفٍ ولا لغيره ، بل هكذا وضع الاسم . وذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق من (أَلَهَ) الرجل،إذا عُبِدَ ،وتأَلَّه إذا تَنَسَّك ، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :

لله دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ   سبَّحْنَ واستَرْجَعْنَ مِن تأَلُّهِي

(٥) البحر المحيط١/٢٤٤ .

(٦) التحقيق١٣/٢٢٥،وما بعدها،مادة(ولي) .

(٧) المعجم المفهرس/٨٧٤-٨٧٧،مادة(ولي) .

(٨) مقدمة تفسير ابن عطية / ٢٩٢.

(٩) مقاييس اللغة١/١٢٧،مادة(أله) .ويُنظر: معاني القرآن – النحاس١/١٩-٢٠.والمحيط في اللغة ٤/٦٤.وأساس البلاغة /٩.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]،على هذه القراءة فإن ابن عباس وغيره قال: (وعبادتك). قالوا: فاسم الله مشتق من هذا الفعل ؛ لأنه الذي يأْلَهُهُ كلُّ خَلْقٍ ويَعْبُدُه .. فـ(إلاه) : فِعَال من هذا .

واختُلِف كيف تَصرّف(إلاه) حتى جاء لفظ (الله)،فقيل : حذفت الهمزة حذفًا على غير قياس، ودخلت الألف واللام للتعظيم على (لاه)، وقيل: بل دخلتا على (إله)، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام ،فجاء (اللاه)، ثم أدغمت اللام في اللام.

وقيل: إن أصل الكلمة (لاهٌ) ، وعليه دخلت الألف واللام ،والأول أقوى)[١٠].

ونقل ابن عطية عن الخليل قوله : (ورُوِي عن الخليل أنّ أصل (إله) (وِلاه)، وإن الهمزة مبدلة من واو ،كما هي في إشاح ووِشاح ،وإسادة ووِسادة .وقيل: إن أصل الكلمة(ولاه) كما قال الخليل،إلا أنها مأخوذة من وَلِهَ الرجل إذا تحيّر ؛ لأنه تعالى تتحير الألبابُ في حقائق صفاته ، والفكرُ في المعرفة به، وحذفت الألف الأخيرة من الله ؛لئلا يُشْكِلَ بخط (اللات)،وقيل طرحت تخفيفًا ،وقيل :هي لغة ،فاستعملت في الخط)[١١].

وقال ابن منظور : (الإله :الله عزّ وجلّ،وكلُّ ما اُتُخِذَ من دونه معبوداً إلهٌ عند مُتَّخِذه ، والجمع : آلهة ،والآلهةُ :الأصنامُ)...وقال : (وأصلُه :من أَلِهَ: يألَهُ ،إذا تحيَّر،يُريد إذا وقع العبدُ في عظمة الله وجلاله)..وقال : (قال الليث:بلغنا أنّ اسم الله الأكبرَ هو الله ،لا إلهَ إلاّ هو وحده) ..وقال: (وروى المنذري عن أبي الهيثم أنّه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة،فقال: كان حقّه:إلاه ،أُدخِلَت (الألف واللام) تعريفا ً،فقيل :ألإلاهُ،ثم حَذَفت العربُ الهمزة، استثقالاً لها ، فلما تركوا الهمزة ،حوّلوا كسرتها في (اللام)التي هي (لام) التعريف،وذهبت الهمزة أصلاً،فقالوا: ألِلاه ،فحركوا (لام) التعريف التي تكون ساكنةً،ثم التقى لامان مُتَحرِّكان، فأدغموا الأولى في الثانية،فقالوا: الله..وقد قالت العربُ: بسم الله..ثم قال : (قال أبو الهيثم : فـ (الله):أصلُه : إلاهٌ،قال الله عزّ وجلّ : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]،قال: ولا يكون إلاهاً حتى يكون معبودًا.. والله :أصلُه : إلاهٌ،على :فِعال ، بمعنى مفعول ؛لأنّهُ مَألُوهٌ ، أي : معبود)[١٢].

وقال الفيومي : (وأما (الله) :فقيل :غيرُ مشتَقٍّ من شيء ،بل هو علَمٌ ، لزِمته الألِفُ واللام.وقال سيبويه:مُشْتقٌ..)[١٣].

---

(١٠) مقدمة تفسير ابن عطية/ ٢٩٢-٢٩٣.وينظر:مجالس العلماء/٦٩-٧١.

(١١) مقدمتان في التفسير،مقدمة تفسير ابن عطية/ ٢٩٢-٢٩٣.

(١٢) لسان العرب ١٩٦/١- ١٩٨ ،مادة(ألله) . وينظر:المصباح المنير ٢٠/١.

(١٣) المصباح المنير ٢٠/١ ،مادة(ألله).وينظر : المعجم الوجيز:/٢٣.

ويقول المصطفوي : (إنّ الإلهة بمعنى العِبادة ،والفرق بين المادتين أنّ العبادة قد أُخذ فيها قيد الخضوع ،والإله فيه قيد التحيّر [١٤]..

فالإله بمعنى العبادة والتحيّر : غلب استعماله في ما يُعبَد ،ويُتَوجّه إليه ،ويخضع لديه .. وأمّا الله فهذه الكلمة لا تُطلَقُ إلا على الله العزيز المتعال ؛فإنه المعبود الذي قد تحيّر العقول في مقامه ،وعظمته حقًّا ،فهو الاسم الأخصّ الأعلى من بين أسمائه الحسنى ،فإذا أُطلق يدلّ على ذاته المستجمع لجميع صفاته الجلاليّة والجمالية المتعالية)[١٥].

أمّا المفسرون فقد ذهب قسم منهم إلى أنّه علم ليس مُشتقًّا . وقال آخرون إنّه مشتق .

قال الطبري : (الله: ذو الأُلوهية والمعبودية على خلقه أجمعين.فإنْ قال لنا قائل : فهل لذلك في (فعل ويفعل) أصل كان منه بناءُ هذا الاسم ؟ قيل : أمّا سماعًا فلا،ولكن استدلالاً).. قال: (ولا شكّ أنّ (التألُّهَ)التفعُّلُ من :أَلِهَ :يأْلَهُ)[١٦].

وقال السمرقندي : (وقوله : (الله) :هو اسم موضوع ليس له اشتقاق،وهو أجلُّ من أنْ يُذكرَ له الاشتقاق ،وهو قول الكسائي)..وقال : (قال أبو الليث : وهكذا سمعتُ أبا جعفرٍ يقول: ورُوِيَ عن محمد بن الحسن الرؤاسي أنّه قال : هو اسم موضوع ليس له اشتقاق)[١٧].

وينقل السمرقندي عن الخليل قوله : إنّ لفظ الجلالة (الله) مشتقٌ من (ألِه) فقال : (وذُكِرَ عن الخليل بن أحمد البصري أنّه قال : لأنّ الخلق يألَهون إليه، بنصبِ (اللام)،ويألِهون بكسرها . وهما لغتان . ..ثم زاد السمرقندي قوله: (وقيل أيضًا : إنّه اشتُقّ من الارتفاع ، وكانت العربُ تقول : للشيء المرتفع (لاه) ، فكانوا يقولون :إذا طلعت الشمسُ : طلَعتْ لاهةُ. وقيل أيضاً :إنّما سُمِّي (الله)؛ لأنّه لا تدركُه الأبصارُ)[١٨] .

وذكر ابن جني أنهم : (قالوا للشمس : إلاهة ، والإلاهة.. وأنشدنا أبو علي ، ورويناه عن قطرب من غير جهته :

تروّحنا من اللَّعباء قَصرًا وأعجلنا إلاهةَ أنْ تؤوبا)[١٩].

وذهب الزمخشري إلى أنّ (الإله) من أسماء الأجناس ، فقال : (والإله : من أسماء الأجناس ، كالرجل والفرس ، اسم يقع على كل معبودٍ بحقٍّ أو باطل ،ثم غَلَب على المعبود بحق ،كما أنّ

---

(١٤) ما ذهب إليه المصطفوي في قيد (التحيّر) فيه نظر؛ لأنّه يقتضي أن يكون لفظ (الله) مشتقًّا من (أله . يأله) بمعنى تحيّر ،وهذا رأي غير مقطوع فيه ،بل لا نرجّحه كما سيأتي في البحث . بتوفيق الله . .

(١٥) التحقيق ١/١٣١.١٣٢ ،مادة(أله) .

(١٦) جامع البيان ١/٨٢.

(١٧) تفسير القرآن الكريم(بحر العلوم)١/٢١٤-٢١٦ .وينظر:البحر المحيط ١/١٣-١٤.

(١٨) المصدران السابقان ،وكذا الصفحات نفسها .

(١٩) سرّ صناعة الإعراب ٢/٤٠٧.

النجم :اسمٌ لكلِّ كوكبٍ ،ثم غَلَبَ على الثريا، وكذلك: السَّنَة : على عام القَحط ، والبيت:على الكعبة ، والكتاب على كتاب سيبويه) . ثم قال : (أمّا (الله)بحذف الهمزة فمختصٌّ بالمعبود بالحقِّ ،لم يُطلقْ على غيره،ومن هذا الاسم اشتُقَّ: تالَّه،وألّه،واستألَه..فإنْ قلت: أ اسمٌ هو أم صفةٌ ؟ قلت : بل اسمٌ غيرُ صفة ٍ، ألا تراك تصفه ، ولا تَصِفُ به)[٢٠].

وقال أبو حيان : (والله : عَلَمٌ لا يُطلق إلا على المعبود بحق ، مرتجل غير مُشتق)[٢١] .

وكذا قال الخوئي في لفظ الجلالة(الله): (إنّه اسم علم جامد ،وليس اسم جنس،ولا مشتق..) .

وقال : (وقد عرفها العرب به حتى في الجاهلية ، قال لبيد :

ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل)[٢٢].

وفي قول الخوئي هذا نظر ،لأنّ لبيد ترك قول الشعر بعد إسلامه ،ونُقِل عنه قوله : إنّي استبدلت بالشعر سورة البقرة ،وإنّه لم يقل من الشعر إلاّ هذا البيت ،فالبيت إسلاميٌّ ، لا جاهليّ .

إنّ القول بأنّ لفظ الجلالة (الله) عَلَمٌ غير مشتق هو الرأي الراجح عندي،وتعليل ذلك :

١. إنّ الشعوب في بدء حياتها . حيث نشأت معها لغتها . كانت تؤمن بما حولها من محسوسات ،ولهذا وجدناها تُشرِك الآلهة قي حياتها ،كالحروب ، والزواج ،والرضى ، والغضب ..ويتوسلون إليها بالقرابين .والعرب مثل بقية الشعوب في أول حياتها،كانت مدركاتهم لا تعدو المحسوسات ،قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٣] .

نلحظ في الآيات المباركات كيف صرحوا بأخذهم العبادةَ من غير تفكير،إنهم أخذوها وراثةً حسب ،وقد ألغوا العقل ،وجنحوا لأخذ السلوك العبادي تعوُّداً ،بعيدًا عن التفكير وتقليب الآراء، ومن دونما الأخذ بالحجة المقنعة. وبما أنّ اللغة استعمال وتداول ،وتعبير عمّا يعتمل في نفوس الناس وعقولهم ،وما يدور حول البشر،فإنهم آمنوا بوجودها ، فصوّروها، ودارت مفرداتُهم فيها ، فكان جلُّ اهتمامهم، بل إيمانهم بالمحسوس المرئي لا المتخيّل الغيبي ،فصنعوا آلهةً لهم يُهرَعون إليها كلما ألمّت بهم مُلِمّةٌ أو حَزَبَهم أمرٌ جللٌ ، أو لتوثيق عهد ،أو غير ذلك.

لقد صوّر القرآنُ الكريم حياتهم بدقة ،وبيَّن انحسارَ تفكيرِهم ،وقصورَه على ما حولهم مما يُدركون بالحواس،قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يّس:٧٨] .إنّ العربي بعيد تمامًا عن الغيبيات، ولِمَا يجري في الحياة،بل تجد العرب لم يوغِلوا في الغيبيات،لا في التفكير ،ولا في الاستعمال اللغوي ، فهم لم يتداولوا تلك الألفاظ الدالة على

---

(٢٠) الكشاف ٨/١.

(٢١) البحر المحيط ١٣/١.

(٢٢) البيان في تفسير القرآن/ ٤٢٦.

(آلهةٍ) غيبية . على وفق حياتهم . لأنّها بعيدة عنهم . وبما أنّ المفردة اللغوية ترجمة للفكر الإنساني ، وأنّ هذا التفكير مُلغًى من تفكيرهم ، فيكون تداول اشتقاقات (أَلَهَ . يألَه..) بعيدًا من تداول اللسان العربي،ومما يحكم بارتجالها .

٢. هذا كان قبل الإسلام، فقد خَفِيَت الحاجة لاشتقاقات هذه المادة .أمّا بعد ظهور الدين الجديد (الإسلام) . كما هو معروف . فقد حملهم القرآنُ على التفكير والسؤال عن كثير مما حولهم ،أو سمعوه ،أو كانوا عنه غافلين ، بل أصبحوا مُحاوِرين بالحجة،فسألوا عن الروح : ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥].وأكْثَرُوا الأسئلةَ في الجزاء والجنة والنار،ويوم الحساب..

إنّ الآيات القرآنية حَرَّكَتْ فيهم التفكير بالكون وما فيه ،قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥] ، ودعتهم للإفادة من هذه الطاقة المخبوءة فيهم (العقل) ومنه قوله تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]. وقوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت :٥٣]. وهذه وغيرها كثير دعتهم أنْ يستعملوا عقولهم التي كانت مُعطَّلَةً في تلك الحياة المادية الصحراوية. فلا غرابة أنْ نجد لفظة (الله) ،واشتقاقاتها ليس لها تداول في المعجم العربي ، واللغة تعبير عما يُحسّه الفرد ،ويريده ، فيُفصح عنه،فتكون أفكاره مُتَرجَمَةً بهذه الألفاظ .

٣. إنّ التألِيهَ بمعنى العبادة الغيبية تفكير ينِم عن رُقيّ حضاري،وفكري بلغ مرتبةً متقدمةً في سُلَّمِ الحضارة ،مما يستدعي إيجادَ مفرداتٍ تُشيرُ إلى حلقة متقدمة في الوعي العبادي، وهذا ما لم يكن قد وصله العرب في درجة عبادتهم قبل الإسلام .

٤. أما مذهب من قال إنّه مشتق من : (أَلَه . يألَه) بمعنى :عبَد و(أَلِه . يألَه) بمعنى :تحيّر، الذي أصله :ولِه . يولَه ،فيمكن حمله على أنّه من باب الاشتقاق من ألفاظ العين ، مثلما نشتق من لفظ (السيف) ،فنقول : أسيف ، وسيَفان،(وتسايفوا : تضاربوا)[٢٣]ومن (أسد): (استأسد عليه:اجترأ)[٢٤]. ومن (الحجر) تحجّر (واحْتَجَر حُجرةً ، أي: اتخذها)[٢٥].

وهذا يكون أوضحَ دلالة في الأخذ من المصادر،وهي ألفاظ معنى جامدة ، فصاغوا مثلاً من (البَصَر) : بَصُرَ. ومن(السمع) : سَمِع . ومن (القول) : قال، وهكذا.

جاءت صيغ من مادة (إله) في (١١٣٢) اثنين وثلاثين ومئةٍ وألف موضعٍ [٢٦]من القرآن الكريم. فقد ورد لفظ الجلالة (الله) في(٩٨٠) ثمانين وتسعمئة موضعٍ منها ، وبصيغة النداء

---

(٢٣) مختار الصحاح/٣٢٥،مادة (ضرب) .

(٢٤) السابق/١٦،مادة (أسد) .

(٢٥) السابق/١٢٣،مادة(حجر) . وينظر: في النحو العربي/٣١،و١٧٢ .

(٢٦) المعجم المفهرس/٧٥.٤٠، مادة (أله) .

(اللهم) في (٥) خمسة مواضع منها،وبصيغة (إله) في (٨٠) ثمانين موضعًا منها،وبصيغة (إلهًا) في (١٦) ستةَ عشرَ موضعًا منها ، وبصيغة الإضافة إلى الضمائر في (٥١) أحدٍ وخمسين موضعًا منها.

وذهب قسم من العلماء إلى أنّ لفظ الجلالة (الله) اسم الله الأعظم[٢٧].

ورسوله : والواو : حرف عطف . رسول : قصد به . هنا . المُرسَل ،أي : الإنسان الذي يتولَّى التبليغ عن الله تعالى ،وخُصَّ به . هنا . النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

وتفيد مادة(رسل) البعث والانبعاث المُتَأَنِّي،تقول :على رِسْلِك ،أي: رويدك . ويكون الإرسال في المادي والمعنوي .ومنه التسليط . ومنه الرسالة التي يُكلّف المُرسَل من الله تعالى بحملها. ومنها الرسالة التي أصبحت اليوم . بحسب التطور الدلالي . تعني الكتاب الذي يعده الطالب في الجامعة لنيل درجة علمية .أو القطعة الأدبية التي تعالج موضوعًا ما ،مع مراعاة الأسس ، والقواعد الخاصّة بهذا المثال الأدبي .

قال الخليل: (الرَّسْل : الذي فيه استرسال ولِيْنٌ..والرَّسَل : القطيع من كل شيء، وجمعه أرسال ، قال : ورَسَلاً ورادةً بعد رَسَلْ .

والرَّسَل يُذَكّر ،ويُؤَنّث . والرِّسْلُ : الهَيْئَة والسكون ،يقال : تكَلَّمْ على رِسْلِكَ . والرِّسْل: اللَّبَن. والارسترسال إلى شيء كالاستئناس والطمأنينة..والتَّرَسُّل في الأمر ،والمنطق كالتَّمَهُّل ، والتوقر ،والتَّثَبُّتِ .والرسول بمعنى الرسالة..والرُّسُل جمع الرسول ،وفي لغة : هي رَسولٌ ، وهن رسولٌ.وامرأة مُراسِلٌ : كأن لها زَوجٌ، والخُطّابُ يراسلونها الخِطْبَة ، قال :

وقالوا تَزَوَّج ذاتَ مالٍ مُراسِلاً فقلت عليكم بالجوارِ الصَّعالِكِ)[٢٨].

وقال ابن فارس : (رسل: أصل واحد مُطَّرِد منقاس ،يدل على الانبعاث والامتداد، فالرَّسل السير السهل..ويقال أرسل القومُ ،إذا كان لهم رِسل ،وهو اللَّبن .ورَسِيلُ الرجل : الذي يقف معه في نِضال ،أو غيره ،كأنه سُمِّي بذلك لأن إرساله سهمَه يكون مع إرسال الآخر .وتقول : جاء القوم إرسالاً : يتبع بعضهم بعضًا..والرِّسْلُ : الرَّخاء .يقول : يُنِيلُ منها في رضائه وشدته .واسترسلت إلى الشيء ،إذا انبعثت نفسُك إليه ، وأَنِسَت)[٢٩].

---

(٢٧) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/٢٢.وينظر: التفسير الكبير ١١٨/١ .

(٢٨) العين ٢٤٠/٧-٢٤٢ ، مادة (رسل) . وينظر : جمهرة اللغة٢/٢٣.٢٤ .ومختار الصحاح/٢٤٢-٢٤٣. والمصباح المنير ٢٢٦/١-٢٢٧.والمعجم الوسيط٣٤٤/١. والمعجم الوجيز/٢٦٣ .

(٢٩) مقاييس اللغة ٣٩٣.٣٩٢/٢، مادة (رسل) .

وقال الراغب : (والرسول المُنْبَعِث ،وتُصُوِّر منه تارةً الرِّفق ،فقيل على رِسْلِك، إذا أمرته بالرفق[٣٠] ،وتارةً الانبعاثُ ،فاشتُق منه الرسول .والرسول يقال تارةً للقول المُتَحَمَّل ، كقول الشاعر : ألا أبلغْ أبا حفصٍ رسولاً .

وتارةً لمُتَحَمِّل القول والرسالة .والرسول يقال للواحد والجمع ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]. وقال سبحانه : ﴿فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]. وقال الشاعر :

أَلِكْنِي وخَيْرُ الرسو ل أعْلَمَهُم بنواحي الخَبَرْ

وجمع الرسول رُسُل .ورسل الله تارةً يراد بها الملائكة ،وتارةً يراد بها الأنبياء ، فمن الملائكة قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة:٤٠] .. ومن الأنبياء قوله سبحانه : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤].. وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام:٤٨]. فمحمول على رُسُلِه من الملائكة والإنس ،وقوله جلّت قدرته : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ [المؤمنون:٥١]. قيل عني به الرسولُ وصَفوَةُ أصحابه ،فسماهم رسولاً؛ لضمهم إليهم كتسميتهم المهلب وأولاده بالمهالبة.والإرسال يقال في الإنسان، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة ،وقد يكون ذلك بالتسخير ،كإرسال الريح والمطر نحو قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً﴾ [الأنعام:٦].وقد يكون ببعث مَن له اختيار، نحو إرسال الرسل ، قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء:٥٣] .وقد يكون ذلك بالتخلية ،وترك المنع ،نحو قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ [مريم:٨٣] . والإرسال يقابل الإمساك، قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢])[٣١].

وقال الزمخشري : (راسله في كذا ،وبينهما مكاتبات ومراسلات ،وتراسلوا .. ومن المجاز : أرسل الله عليهم العذاب.. وظَلْنا نتراسل بالألحاظ)[٣٢].

ويقول المصطفوي : (إنّ الأصل الواحد في هذه المادة :هو الإنفاذ مع الحمل ؛بمعنى أن تُنفذ شيئًا مع قيد أن تجعله حاملا لأمرٍ ،ويلازم هذا المفهوم التحرّك والسير ،ولو معنويًّا.. والمُرسَل أعمّ من أن يكون روحانيًا أو ماديًّا ،من إنسان ،أو شيطان ،أو مَلَكٍ ،أو حيوان ،أو جماد لا يشعر ؛ويلحظ في كل منها التوجيه إلى جانبٍ لأداء وظيفة ،والعمل برسالةٍ منظورة. فالروحاني كما في قوله تعالى : ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًّا﴾ [مريم:١٧] .

---

(٣٠) ويمكن معنى : على رِسْلِك : تأنَّ ،أو تمَهَّلْ فيما تُبديه من قول ،أو فعل ،أو: اقتصد في ذلك.

(٣١) المفردات/١٩٥، مادة (رسل) .

(٣٢) أساس البلاغة/١٦٢-١٦٣، مادة (رسل) .

والجسماني من الإنسان كما في قوله سبحانه : ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾[التوبة:٣٣] . والجسماني من الحيوان كما في قوله جلّت حكمته : ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ [الفيل:٣]. ومن الموجودات غير شاعرةٍ كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾[الفرقان:٤٨] . ومن الشياطين كما في قوله تبارك اسمُه : ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾[مريم:٨٣] . ومن الملائكة كما في قوله جلّ ثناؤه : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا﴾[الحج:٧٥] .

فظهر أنّ العمل بالرسالة المُوَظَّفَةِ إمّا تكليفية وبالاختيار ،كما في المُرسَلين والأنبياء الموظفين للتبليغ ،وأداء رسالات الله العزيز المتعال . وإمّا بالقّهّاريّة والجبّاريّة كما في موجودات غير شاعرة ، كالجمادات)[٣٣].

واستعمل التنزيل العزيز صيغًا فعلية واسمية من مادة (رسل) بمعانيها التي استعملتها فيها اللغة في (٥١٠) عشرةٍ وخمسِمئةِ موضعٍ[٣٤].

والذين : الواو : عاطفة . الذين : اسم موصول يُستعمل للدلالة على جمع المذكر ، ولا يتم معناه . مثل الموصولات كافة . إلا بذكر الصلة بعه .

آمنوا : تفيد مادة (آمن) الطمأنينة على النفس والمال ،وذلك بسكون القلب ليصل إلى التصديق والوثوق بالآخر ،ومنه الأمانة بخلاف الخيانة ،وهو مزيد الثلاثي (أمن) بالهمزة .

قال ابن فارس: (أمن:أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب . والآخر التصديق) . ونقل عن الخليل قوله : (الأَمَنَةُ من الأمْن .والأمان إعطاء الأمَنَة)..يُقال : أَمِنْتُ الرجلَ أمْنًا ،وأَمَنَةً ، وأمانًا ،وآمنني : يؤمِنُنِي إيمانًا .والعرب تقول : رجل أمّانٌ ،إذا كان أمينًا . قال الأعشى :

ولقد شَهِدتُ التاجرَ الـ أمان مورودًا شرابُه

وما كان أمينًا ،ولقد أمُن .قال أبو حاتم : الأمين: المؤتَمَنُ ، قال النابغة :

وكنت أمينَهُ ،لو لم تَخُنْهُ ولكن لا أمانَةَ لليماني

..وبيتٌ آمِن ،ذو أمنٍ ،قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾ [إبراهيم:٣٥].وأنشد اللحياني :

: ألم تعلمي يا اسْمَ ويحَك أنّني حلَفْتُ يمينًا لا أخونُ أميني

أي: آمِني .وقال اللّحياني وغيره: رجل أَمَنَة ، إذا كان يأمَنه الناس،ولا يخافون غائلته ،وأمَنة . بالفتح . يصدق ما سمع ،ولا يكذب بشيء يثق بالناس ،فأما قولهم: أعطيت فلاناً مِن آمِنِ مالي،فقالوا معناه : من أعَزِّه عليَّ ، وهذا وإن كان كذا فالمعنى معنى الباب كله ؛ لأنه إذا كان من أعزِّه عليه فهو الذي تسكن نفسه وأنشدوا قول القائل :

---

(٣٣) التحقيق ٤/١٣٧.١٣٨ ، مادة (رسل) .

(٣٤) المعجم المفهرس/٣٩٧-٤٠٦،مادة (رسل) .

ونَقِي بآمَن مالِنا أحسابَنا ونجرُّ في الهَيجا الرماحَ ونَدَّعِي

وفي المثل : (مِن مَأْمَنِه يُؤتَى الحَذِر).. وأما التصديق فقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧].أي : مصدق لنا . وقال بعض أهل العلم: إن (المؤمن) في صفات الله تعالى هو أن يَصدُق ما وَعَد عَبْدَه من الثواب.وقال آخرون: هو مُؤمِن لأوليائه، يُؤمِنُهم عذابَه ، ولا يظلمهم . فهذا قد عاد إلى المعنى الأول..

ومن الباب الثاني . والله أعلم . قولنا في الدعاء: (آمين) قالوا: تفسيره: اللهم افعَل[٣٥]. ويقال: هو اسم الله تعالى ، قال :

تباعَدَ مِنِّي فُطْحُلٌ ،وابنُ أُمِّه أمِينَ ،فزاد اللهُ ما بيننا بُعدا)[٣٦]

وقال الرازي: (ومن صفاته عزّ وجلّ :المؤمن...قال الله : ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣].وأصله من الأمان كأنه آمن عباده أن يظلمهم).. وجعل الإيمان بمعنى التصديق ، والتصديق راجع إلى معنى الأمان)[٣٧].

وقال الراغب : (والإيمان يستعمل تارة اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وآله) ، وعلى ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة:٦٩] . ويُوصَف به كل من دخل في شريعته مُقِرًّا بالله وبنبوته..وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعانُ النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء :تحقيقٌ بالقلب ،وإقرارٌ باللسان ، وعملٌ بحسب ذلك بالجوارح ،وعلى هذا قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد:١٩]. ويقال لكل واحد من الاعتقاد ،والقول الصدق ،والعمل الصالح إيمان،قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم﴾ [البقرة:١٤٣] ، أي: صلاتكم ، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان)[٣٨].

وقال الزمخشري: (ومن المجاز: فرسٌ أمينُ القُوى وناقةٌ أَمُونٌ: قويّةٌ ، مأمون فتورها، جُعِل الأمن لها ، وهو لصاحبها)[٣٩].

وقال الرازي: (وأصل: آمن: أأمن ،بهمزتين ،لُيِّنَت الثانية ،ومنه المهيمن : وأصله مُؤْأَمِن، لُيِّنَت الثانية،وقُلِبت(ياء)كراهة اجتماعهما ،وقُلبت(هاءً)،كما قالوا :أراق الماء ،وهَرَاقه)[٤٠].

---

(٣٥) الأَوْلَى معناه : اللهم اسجتب.

(٣٦) مقاييس اللغة ١/١٣٣-١٣٥،مادة(أمن) .وينظر: لسان العرب ١/٢٣٣.والتحقيق١/١٦٤.١٦٦.

(٣٧) الزينة ٢/٧٠-٧١.

(٣٨) المفردات/٢٥-٢٦ ،مادة(أمن). وذكر الراغب أنّ (الأمانة) -هنا- (كلمة التوحيد،وقيل العدالة،وقيل حروف التهجي، وقيل :العقل،وهو صحيح) .

(٣٩) أساس البلاغة/١٠ ،مادة(أمن) .

(٤٠) مختار الصحاح/٢٦-٢٧ ،مادة(أمن) . وينظر: لسان العرب ١/٢٣٣.

وقال ابن منظور: (والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة). ونقل عن الزجاج حد الإيمان بقوله : (الإيمان إظهار الخضوع ، والقبول للشريعة ،ولِما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله) ،واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم،غيرُ مرتاب ولا شاك ، وهو الذي يرى أنّ أداء الفرائض واجب عليه ،لا يدخله في ذلك ريب).. والأيمان غير الإسلام في الحد ، لذا (أخرج الله هؤلاء من الإيمان ، فقال : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].فالمؤمن مبطن في التصديق، مثل ما يظهر ... والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها ،فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة ،وهو مؤمن .ومن لم يعتقد التصديق بقلبه غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها ، وهو منافق ..والأمانة :الفرائض . قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض﴾ [الأحزاب:٧٢] .

ونقل ابن منظور عن ثعلب قوله: (المؤمن بالقلب،والمسلم باللسان) . وعن الزجاج قوله: (صفة المؤمن بالله أن يكون راجيًا ثوابه ،خاشياً عقابه)[٤١].

وقال الفيومي: (واستعمل المصدر في الأعيان مجازًا،فقيل:الوديعة أمانة)[٤٢].

ونقل الشوكاني ما رُوِي عن الرسول(صلى الله عليه وآله) في معنى الإيمان ،فقال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (أنبؤني بأفضل أهل الإيمان إيمانًا ؟ فقالوا: يا رسول الله الملائكة.قال هم كذلك،ويحق لهم.وما يمنعهم،وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها . فقالوا يا رسول الله :الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء .قال: هم كذلك ،وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة .قالوا :فمن يا رسول الله ؟ قال (صلى الله عليه وآله) :أقوام في أصلاب الرجال ، يأتون من بعدي ،ولم يروني، ويصدقونني ،ولم يروني ،يجدون الورق المعلق ،فيعملون بما فيه،فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانًا ..وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (ياليتني قد لقيت إخواني،قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟قال :بلى،ولكن قوم يجيئون من بعدكم يؤمنون بي إيمانكم، ويصدقونني تصديقكم ، وينصرونني نصركم ،فيا ليتني قد لقيت إخواني).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (ياليتني قد لقيت إخواني، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال :بلى ، ولكنّ قومًا يجيئون من بعدكم يؤمنون بي إيمانكم، ويصدقونني تصديقكم ، وينصرونني نصركم ،فيا ليتني قد لقيت إخواني))[٤٣] .

---

(٤١) لسان العرب١/٢٣٢-٢٣٧ ،مادة(أمن) . وينظر: المعجم الوجيز /٢٥-٢٦.

(٤٢) المصباح المنير ١/٢٤-٢٥ ،مادة(أمن) .

(٤٣) فتح القدير ١/٨٩ .

وقد وردت صيغ مختلفة من مادة (أمن) في (٨٧٩) تسعة وسبعين وثمانمئة موضع[٤٤] من القرآن الكريم، مفيدة دلالاتها التي ذكرتها المعجمات العربية ، فيما استعملته اللغة من صيغها كافة.

الذين : مرّ القول فيه قبلُ .

يقيمون: يقيمون: تدلّ مادة (قوم) على الوقوف،والاعتدال،والانتصاب ،فهو يضادّ القعود .ومنه تولى الأمر ، أو الثبات في المكان .ويظهر فيه فعليّة العمل ماديًّا أو معنويًّا . والقوم : الرجال دون النّساء . ومنه (القيّوم) من أسماء الله الحسنى .

قال الخليل: (القوم: الرجال دون النساء .وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته . والقَوْمَة: ما بين الركعتين من القيام ..والقامة: مقدار قيام الرجل .والجميع: القام .وكل شيء كذلك بُني على سطح ونحوه فهو قامة..وتقول: قُمتُ قيامًا ومَقامًا، وأقمتُ بالمكان كذلك إقامة ومُقامًا. والمَقام: موضع القدمين .والمُقام والمُقامة : الموضع الذي تُقيم فيه..وقائم السيف: مَقبِضُه.. وقيِّمُ القوم : من يسوس أمرهم ،ويُقوّمُهم ،ورمح قويم ،ورجل قويم. وفي الحديث: (ولا أخِرّ إلاّ قائمًا) ،أي: لا أموت إلا ثابتًا على الإسلام .والقائم في الملك ونحوه : الحافظ . وكل من كان على الحق فهو القائم الممسك به .

والقَيِّمة: المِلّة المستقيمة .وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]. أي المستقيمة .

والقيامة: يوم البعث ،يقوم الخلق بين يدي القيُّوم ،والقَيّام لغة ،اللهم قَيّام السماوات والأرض، فَهِّمْنا أمر دينك .والقِوام من العيش: ما يُقيمك ،ويُغنيك . والقِيام: العماد في قوله سبحانه : ﴿جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاما﴾ [النساء:٥]. وقوام الجِسم : تمامه وطوله .وقِوام كل شيء : ما استقام به .وقاومته في كذا، أي: نازلته .والقِيمة: ثمن الشيء بالتّقويم ،تقول: تقاوَمُوا فيما بينهم .وإذا انقاد ،واستَمَرّت طريقته فقد استقام لوجهه)[٤٥].

وقال ابن فارس : (ويكون (قام) بمعنى العزيمة ،كما يقال: قام بهذا الأمر إذا اعتنقه)[٤٦] .

وقال ابن منظور: (القيام: نقيض الجلوس ..وقام يقوم قَوْمًا ، وقِيامًا ، وقَومةً ،وقامةً . قال الشاعر : قد صُمتُ ربي ، فتقبّل صامَتي وقُمتُ ليلي ، فتقبّل قامتي

وقام بمعنى: عزم ،قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]. وقد يجيء القيام

---

(٤٤) المعجم المفهرس/٨١-٩٣ ،مادة(أمن) .

(٤٥) العين٥/٢٣١-٢٣٣ ،مادة(قوم). وينظر: تهذيب اللغة٩/٢٦٦،وما بعدها .وجمهرة اللغة٢/٣٦٣،و:٣٦٤. ومقاييس اللغة ٥/٤٣. وأساس البلاغة/٣٨٢. ومختار الصحاح/ ٥٥٦-٥٥٨. والمصباح المنير٢/٥٢٠-٥٢١. والمعجم الوجيز/٥٢١-٥٢٢ . والتحقيق٩/٣٧٩.٣٨٠.

(٤٦) مقاييس اللغة ٥/٤٣ ،مادة(قوم) .

بمعنى المحافظة والإصلاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣٤]. وبمعنى الملازمة، قال تعالى : ﴿إِلاّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾ [آل عمران:٧٥]. أي: ملازمًا، محافظاً .. ويجيء القيام بمعنى الوقوف ،وعليه فسروا قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة:٢٠] . قال أهل اللغة والتفسير: قاموا . هنا . بمعنى: وقفوا ،وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ،ولا متأخرين.ومنه التوقف في الأمر ،وهو الوقوف عنده من غير مُجاوزة له . ومنه الحديث : المؤمن وقّافٌ مُتأنٍّ)[٤٧].

وقدّم المصطفوي مَبحَثًا طيِّبًا في ماد(قوم) ،نقتطع منه الآتي : (إنّ الأصل الواحد في المادة هو ما يقابل القعود ،أي :الانتصاب ،وفعليّة العمل ؛مادّيًا أو معنويًّا .

وهذا العمل يختلف باختلاف الموضوعات ؛في موضوع خارجي ،أو عمل ،أو أمر معنويّ، فالانتصاب والفعلية في كلٍّ منها بحسبه .فالقيام في الموضوعات الخارجية كما في قوله سبحانه : ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُم مَعَكَ﴾[النساء:١٠٢] . وفي العمل كما في قوله جلّت حكمته : ﴿وأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوا الزَّكاةَ﴾[البقرة:٢٧٧]. وفي المعنوي كما في قوله تبارك اسمُه : ﴿وأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بالقِسطِ﴾[النساء:١٢٧] .وفي عالم الآخرة كما في قوله جلّ ذكرُه : ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يومئذٍ يتفرّقون﴾[الروم:١٤] . وفي الروحانيّات كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلائكةُ صفًّا﴾[النبأ:٣٨] .

فالإقامةُ إفعال ، يلحظ فيه جهة القيام بالفاعل ؛كإقامة الصَّلاة ،وإقامة الجدار ،وإقامة التوراة، وإقامة الحدود ،وإقامة الشّهادة .والتّقويم تفعيل يلحظ جهة الوقوع فيه ،أي: يكون النظر إلى جهة تعلّق الفعل إلى مفعوله كما في قوله تبارك اسمُه : ﴿لقَد خَلَقْنا الإنسانَ في أحسن تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] .

ومن ذلك التقويم ،أي: تعيين القيمة للشيء ؛فإنّ الشيء إذا تعيّنت قيمته فقد قام ،وانتصب ، وتشَخّصَ وجوده ،ويرتفع إبهامه وركوده . فالتقويم بمعنى جعل الشيء قائمًا ومنتصِبًا ،وليس بمعنى التعديل[٤٨] . وبهذا ظهر الفرق بين المَقام ،والمُقام ،والمُقوَّم للمكان كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿مِنْ مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة:١٢٥] . وكما في قوله عظُمَت أسماؤه : ﴿إنّها ساءت مُستَقرًّا ومُقامًا﴾[الفرقان:٦٦])[٤٩].

إنّ المعنى الذي يتضح جليًّا في صيغة (يقيمون) . هنا . هو الالتزام بأداء هذا الفرض ،

---

(٤٧) لسان العرب٧/٥٤٤-٥٥٢ ،مادة(قوم). ثمة اشتقاقات كثيرة ،وصيغ عدة لمزيد الفعل (قوم) سنقف عندها بعون الله في مواضعها من الآي الكريم في كتابنا الموسوعي : (القرآن إعراب وبيان) .

(٤٨) صيغة (تقويم) تفيد دلالتي تعيين قيمة للشيء ،وجعله قائمًا ،وكذا تعديله كي ينتصب ،وما ذهب إليه المصطفوي ليس دقيقًا . هنا . .

(٤٩) التحقيق٩/٣٧٩.٣٨٠ ،مادة(قوم) .

والاستمرار عليه .

وقد وردت صيغ من مادة (قوم)في(٦٦٠) ستين وستمئةِ موضعٍ [٥٠]من القرآن الكريم، وقد وافقت دلالات صيغها القرآنية دلالات استعمالاتها اللغوية .

الصلاة : دلالتها الأساس الدعاء في الأديان كافة. وقد تفيد معنى الإيذاء بالنار ،وما أشبهها.

قال الخليل: (الصلاة: ألفها واو ؛لأن جماعتها: الصَّلَوَات ؛ولأن التثنية: صَلَوان. والصّلا: وسط الظَّهْر ،لكل ذي أربع ،وللناس..وإذا أتى الفرسُ على أثر الفرس السابق قيل: قد صلّى ، وجاء مُصلّيًا؛ لأن رأسه يتلو الصَلا الذي بين يديه . وصلَوات اليهود : كنائسهم ، واحدها : صلاة . وصلواتُ الرسول (صلى الله عليه وآله) للمسلمين : دعاؤه لهم ، وذكرهم.

وصلواتُ الله على أنبيائه والصالحين من خَلْقِه : حُسْن ثنائه عليهم ،وحسن ذكره لهم ، وقيل: مغفرته لهم.وصلاة الناس على الميت : الدعاء .وصلاة الملائكة : الاستغفار . وفي الحديث: (إنّ للشيطان مَصالي وفخوخًا). والمِصلاة أن تنصِب شَرَكًا ، ونحوه ؛ ليقع فيه شيء فيُصطاد ....والصّلا: الحَطَب . والصَّلا: النار. وصلَى الكافرُ نارًا فهو يصلاها،أي: قاسى حرَّها وشدتها.وصَلَيت اللحم صلياً :شويته . وإذا ألقيته في النار قلت : أصلَيته ، أُصليه: إصلاءً ، وصلَّيته تَصلِيَةً . والصَّلا : اسم للوقود ،إذا اصطلى به القوم . قال العجّاج : وصالياتٌ للصَّلا صليٌّ .

والصاليات : الأثافي ؛ لأنهن قد صَلِينَ النارَ . وصَلِي فلانٌ بشرٍّ فلان ، وبرجُلِ سوءٍ .وفلان لا يُصطَلَى بناره ،أي: لا يُتَعَرَّضُ لِحَدِّه . وصلَّى عصاه إذا أدارها على النار يثقفها ، قال:

فلا تعجلْ بأمرك واستدِمْه فما صلَّى عصاك كمُستديم)[٥١]

وقال الرازي: (الصلاة: اسم يوضع موضع المصدر ، يقال: صلّى : صلاة ،ولا يقال: تصلية)[٥٢].

وزاد الفيومي قوله: (وقيل (الصلاة) في اللغة مُشتركة بين الدعاء والرحمة والبركة)[٥٣].

وقد وردت مادة (صلو) بصيغها المختلفة في (٩٩) تسعة وتسعين موضعًا[٥٤] من القرآن الكريم ،وكانت معانيها في الاستعمال القرآني موافقة معانيها التي أوردتها لها المعجمات.

---

(٥٠) المعجم المفهرس/٥٧٨-٥٨٧ ،مادة(قوم) .

(٥١) العين٧/١٥٣-١٥٥،مادة(صلو) .وينظر: جمهرة اللغة٢/٢٥٩،و٢٦١،و٤٩٦.ومقاييس اللغة٣/٣٠٠-٣٠١. وأساس البلاغة/٢٥٨. ولسان العرب٥/٣٨٦-٣٨٩ .والتحقيق٦/٣٣٠.٣٣٤ .

(٥٢) مختار الصحاح/٣٦٨-٣٦٩ ، مادة(صلو).

(٥٣) المصباح المنير ١/٣٤٦ ، مادة(صلو) .

(٥٤) المعجم المفهرس/٤١٢.٤١٤،مادة(صلو) .

إنّ إقامة الصلاة إشارةٌ إلى أصل الإيمان ،وإلى أولِ ركائزه ،فهي عمود الدين ،إن قُبِلَت قُبِلَ ما سواها ،وإنْ رُدّت رُدّ ما سواها ؛ولذا جاء وصف الذين آمنوا بها أوّلا . والصلاة . كما هو معلوم . هُوِيَّة المسلم التي تميزه عن الكافر ، بل تميزه عمن سواه ممن على ديانات أُخَر ،وهؤلاء المؤمنين يديمون إقامة هذه الفريضة من دونما انقطاع، وقد بيّن ذلك اختيار الفعل المضارع المرفوع (يقيمون) للدلالة على وقوع الحدث واستمراره منهم .

ويؤتون : وتفيد مادته الذهاب إلى الخير ، أو الشّر بيسر ، مادياً كان أم معنويًّا .

قال ابن فارس : (أتاني فلان إتْيانًا،وأتْيًا ،وأتْيَةً،وأتوةً واحدةً .ولا يُقال : إتيانةً واحدةً إلا في اضطرار شاعر ،وهو قبيح..يقال : تِنِي بفلان ،ائتني .وللاثنين : تِياني به،وللجمع :توني به، وللمرأة : تِيْنِي به ،وللجمع :تِنَنِي. وأتيت الأمر من مأتاه ،ومأتاته . قال :

وحاجةٍ بِتّ على صِماتِها أتيتها وحدي من مأتاتها

ونقل عن الخليل قوله : (آتيت فلانًا على أمره مؤاتاةً،وهو حُسْن المطاوعة،ولا يقال : واتَيْته إلا في لغة قبيحة في اليمن..ويُقال : تأتّ لهذا الأمر ،أي : ترفّق له. والإيتاء : الإعطاء ، تقول :آتى يؤتي ايتاءً...وتقول : تأتّى لفلان أمره ، وقد أتاه الله تأتيةً..وقال الخليل : (الأتِيّ ما وقع في النهر من خشب ، أو ورق مما يحبس الماء . تقول: أتٌّ لهذا الماء ،أي : سهّل جَرِيَه .والأتِيّ عند العامة: النهر الذي يجري فيه الماء إلى الحوض،والجمع الأُتِيّ ،والآتاء، والأتِيّ أيضًا : السيل الذي يأتي من بلدٍ غير بلدك ، قال النابغة :

خَلَّت سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبِسُه ورَفّعَته إلى السَّجْفَين فالنَّضَدِ

..وأتَّيت للماء تأتية إذا وجهت له مَجرًى . اللحياني : رجل أتِيّ إذا كان نافذًا ورجل أتِيّ : غريب في قوم ليس منهم...والإتاء نماء الزرع،والنخل)[٥٥].

وقال الراغب: (والإتيان يقال للمجيء بالذات ،وبالأمر ،وبالتدبّر . ويقال في الخير وفي الشر ، وفي الأعيان والأعراض... وكل موضع ذكر في وصف الكتاب (آتينا) ،فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه (أُوتُوا) ؛لأنّ (أُوتُوا) قد يقال إذا أُولِي مَن لم يكن منه قبول .وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول..والإيتاء : الإعطاء ،وخُصّ دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء)[٥٦].

وقال الزمخشري: (وأتى عليهم الدهر : أفناهم .. وأدّى إتاوة أرضه ،أي : خراجها) [٥٧] .

وقد وردت صيغ من مادة (أتى) في (٥٤٧) سبعة وأربعين وخمسمئة موضع[٥٨] من القرآن

---

(٥٥) مقاييس اللغة١/ ٥٠ .٥٢،مادة (أتى) .وينظر: الأفعال لابن القطاع ٥٦/١. ومختار الصحاح/٥ . ولسان العرب٧٠/١-٧٤.والمصباح المنير٣/١-٤ .والقاموس المحيط ٣١٦/٤. والتحقيق٣٢/١ .

(٥٦) المفردات /٩٨، مادة (أتى) .

(٥٧) أساس البلاغة / ٢ ، مادة(أتى) .

(٥٨) المعجم المفهرس/ ١١٤، مادة(أتى) .

الكريم ، مستعملة على وفق معانيها التي استعملتها فيها اللغة.

الزكاة : هو مصطلح اسلاميّ للفرض المادي، الذي يؤديه المسلم فرضًا عن كميّة من الأعيان معيّنة ، وبحدود حددتها الشريعة. وهي من الفعل الثلاثي(زكا) بمعنى نما في الأمور الدينوية والأخروية .

قال ابن فارس: (زكا : يدل على نماءٍ وزيادة. ويقال: الطهارةُ زكاةُ المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته، ونماؤه.

وقال بعضهم: سميت زكاة؛ لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]. ومن النّماء: زرع زاك، بين الزكاء. ويقال هو أمر لا يزكون بفلان، أي: لا يليق به. والزكا: الزوج، وهو الشفع)[٥٩].

وقال الراغب: (وتسمية الزكاة بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات، والبركات، أولهما جميعًا، فإن الخيرَين موجودان فيها، وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن بقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣] .وبزكاءِ النفس، وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهو أن يتحرى الإنسانُ ما فيه تطهيره، وذلك يُنْسَب تارةً إلى العبد، لكونه مكتسبًا لذلك، نحو قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]. وتارة ينسب إلى تعالى لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة، نحو قوله تعالى:﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٤٩]. وتارة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكونهِ واسطةً في وصل ذلك إليهم، نحو قوله سبحانه : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]..وتارةً إلى العبادة التي هي آلةٌ في ذلك، نحو قوله جل ثناؤه : ﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً﴾ [مريم:١٣].. وتزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما: بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله عزّ وجلّ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩].. والثاني: بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم، أن يفعل الإنسانُ بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه، فقال: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [لنجم:٣٢] . ونَهيُه عن ذلك تأديبٌ لقبح مدح الإنسان نفسَه عقلاً، وشرعًا، ولهذا قيل لحكيم : ما الذي لا يَحْسُنُ، وإن كان حقًّا ؟ فقال: مدحُ الرجلِ نفسَه)[٦٠].

ويقول المصطفوي : (الزكاة تنحية ما ليس بحقٍّ ،وإخراجه عن المتن السالم ، وذلك

---

(٥٩) مقاييس اللغة٣/١٧-١٨ ،مادة (زكا). وينظر: أساس البلاغة/١٩٣-١٩٤. ومختار الصحاح/٢٧٣. ولسان العرب٤/٣٨٦-٣٨٧. والمصباح المنير ١/٢٥٤. والمعجم الوسيط١/٣٩٦. والمعجم الوجيز/٢٩٠.

(٦٠) المفردات/٢١٣-٢١٤ ،مادة(زكا).

كإزالة رذائل الصفات عن القلب ،وتنحية الأعمال السيِّئة عن برنامج الحياة الإنسانية ،وإخراج حقوق الناس عن المال ،وتنحية ما كان مُلحقًا من الباطل والفساد عن المتن الصحيح..فالزكاة اسم مصدر لما يحصل من التزكية ،كالصلاة من التصلية . ولمّا كان النظر في الزكاة إلى مجرد إعطائه عبّر بالإيتاء ، بخلاف الصلاة ؛فإنّ النظر فيها إلى إقامتها على ما هي عليها من الخلوص والخضوع والشرائط .

ثم إنّ الزكاة أعمّ من جميع أنواع التزكية المالية ،فيعم قاطبة الحقوق الراجعة المربوطة بالأموال ،من حقوق الله ،وحقوق الرسول (صلى الله عليه وآله) ،وحقوق الضعفاء والفقراء ، وذوي القربى واليتامى ،وأبناء السبيل ،وحقوق الناس في المعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها ،مما عليه أن يؤديه ،ويخرجه من ماله ،وهو التزكية الماليّة .

وقد تكون الزكاة مستعملة في معنى أعمّ ،وهو مطلق التزكية في نفس ،أو مال كما في قوله تعالى : ﴿وأوصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ﴾..يُراد مطلق ما يتحصّل من التزكية ،وهو ما يتحقق في نتيجة التزكية)[٦١].

وردت صيغ مختلفة من مادة (زكا) في القرآن الكريم في(٥٩) تسعة وخمسين موضعا[٦٢]، وجاءت مفيدة دلالاتها التي استعملتها فها اللغة.

وهم : الواو حالية . هم : ضمير رفع منفصل ،يعود إلى مُقيمي الصلاة ،ومُؤتي الزكاة .

راكعون : جمع اسم الفاعل(راكع) من الثلاثي (ركع) الذي تفيد مادته الانحناء ،أو الانكباب على الوجه في العبادة دلالة على الخشوع الروحي ،أو لإظهار الاحترام . فيكون حدثُه بالحركة الجسدية لبيان الخضوع والخشية،في العمل العبادي ،أو لبيان مجرد الطاعة في غيره.

قال الخليل : (ركع : كلُّ قَوْمَةٍ من الصلاة ركعة، وركع ركوعًا، وكل شيء ينكَبّ لوجهه، فتمس ركبته الأرض، ولا تمسها بعد أن يطأطئ رأسَه، فهو راكع ، قال لبيد :

أُخَبِّر أخبارَ القرونِ التي مَضَت أدِبُّ كأنِّي . كلَّما قُمتُ . راكعُ)[٦٣]. وقال الراغب : (الركوع الانحناء، فتارةً يُستعمل في الهيأة المخصوصة في الصلاة، كما هي، وتارةً في التواضع، والتذلّل، إما في العبادة ، وإما في غيرها)[٦٤].

ويقول المصطفوي : (إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو الخضوع المتوسط إمّا معنويًّا ، أو مع الظاهر ،أو في الظاهر فقط .وأمّا الخضوع الكامل فهو السَّجدة ، ولا يجوز لغير الله

---

(٦١) التحقيق٤/٣٥٤.٣٥٦،مادة(زكا) .

(٦٢) المعجم المفهرس/٣٣١.٣٣٢، مادة(زكا) .

(٦٣) العين١/٢٠٠،مادة(ركع) .وينظر :مقاييس اللغة٢/٤٣٤.٤٣٥.وأساس البلاغة/١٧٦.ومختار الصحاح/ ٢٥٥.ولسان العرب ٤/٢٣٢.٢٣٣.والمصباح المنير ١/٢٣٧.والمعجم الوسيط١/٣٧٠.والمعجم الوجيز/٢٧٦.

(٦٤) المفردات/٢٠٢ ، مادة(ركع) .

المتعال..فالركوع الظاهري فقط هو الانحناء والانكباب في الظَّهر.والركوع الرّوحاني فقط هو الخضوع في القلب . والركوع الجامع كما في الركوع في الصلاة مع التوجّه والخضوع)[٦٥].

وردت صيغ مادة (ركع) في القرآن الكريم في (١٣) ثلاثة عشر موضعًا[٦٦]، مفيدة دلالاتها التي استعملتها فيها اللغة .

المبحث الثاني

القسم الأول : نظم الآية المباركة

وردت الآية المباركة في سياق حديث في قوة الإيمان بالله ،ولزوم التمسك به ،وبما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ومَن جاء قبلَه من الرُّسُلِ والأنبياءِ (عليهم السلام) ،فالآية في دلالاتها ومقاصدها في ضوء دلالات ومضامين الآيات قبلها ،والتي بعدها ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥١- ٥٤) . وبعدها الآيتان الكريمتان وهو قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٦.٥٧] .

رَوَى عطية العوفي عن أبي سعيد الخدريّ قوله في الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤] ، فقال : (انقطع شِسعُ رسول الله(صلى الله عليه وآله)،فتخلّف عليه عَلِيٌّ يَخْصِفُها لشِسعٍ، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : (إنّ منكم مَن يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت

---

(٦٥) التحقيق٤/٢٣٠ ،مادة(ركع) .

(٦٦) المعجم المفهرس/٣٢٤ ،مادة(ركع) .

على تنزيله)، فاستشرفَ الناسُ أبا بكر وعمر ،فقال : (ليس بهما ،ولكن خاصف النعل) .فذهبنا إلى عليٍّ ،فبشرناه بما قال ، فلم يرفع بقولنا رأسًا ،كأنه شيء قد سمعه).

وقال العوفي في الآيات بعدها : الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ..﴾ والآية ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ..﴾.والآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ..﴾ .والآية ﴿وإِذَا نادَيْتُم إلى الصَّلاةِ..﴾ : (جاء رجلٌ يُقال له عبدة بن الصامت ،فقال : يارسول الله إنّ لي موالي من اليهود ،كثير عددهم ،حاصر بصرهم ،وأنا أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ،فأنزل الله في عبادة : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ..﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿بأنّهم قومٌ لا يعقلُون﴾)[٦٧].

وقال الزمخشري : (عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ،ذكر مَن تجب موالاتهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ..﴾)[٦٨].

غير أنّ الطباطبائي ذهب مذهبًا آخر في نظم الآية الكريمة ،ودلالتها ،فقال : (الآيتان[٦٩] . كما ترى . موضوعتان بين آيات تنهَى عن ولاية أهل الكتاب والكفّار ،ولذلك رام جماعة من مُفسّري القوم إشراكهما مع ما قبلهما ،وما بعدهما من حيث السياق ،وجعل الجميع ذات سياق واحد يقصد به بيان وظيفة المؤمنين في أمر ولاية الأشخاص ولاية النصرة ،والنهي عن ولاية اليهود والنصارَى والكفار ،وقصر الولاية في الله سبحانه ورسوله والمؤمنين الذين يُقيمون الصلاة ،ويؤتون الزكاة وهم راكعون ،وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا .. لكنّ التدبّر ، واستيفاء النظر في الآيتين ،وما يحفهما من آيات ،ثم في أمر السورة يُعطي خلاف ما ذكروه. وأول ما يُفسد من كلامهم ما ذكروه من أمر وحدة سياق الآيات ،وأنّ غرض الآيات التعرّض لأمر ولاية النصرة ،وتمييز الحقّ منها من غير الحقّ .فإنّ السورة وإن كانت من المسلّم نزولها في آخر عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع ؛لكن المسلم أيضًا أنّ جميع آياتها لم تنزل دفعة واحدة ،ففي خلالها آيات لا شبهة في نزولها قبل ذلك ،ومضامينها تشهد بذلك ،وما ورد من أسباب النزول يؤيده ؛ فليس مجرد وقوع الآية بعد الآية يدل على وحدة السياق ،ولا أنّ بعض المناسبة بين آية وآية يدلّ على نزولهما معًا دفعةً واحدة ،أو اتحادهما في السياق)[٧٠].

فيما قاله الطباطبائي نظر ،فقد ذهب بعيدًا في تصوّره ،وما توصّل إليه من رأي ؛ وذلك من وجوه ، **الأول** : لم يقل أحد إنّ الآيتين ليستا في سياقهما ،إذ لم ترد رواية في هذا ،فكلّ المفسرين ، والمعنيين بمعاني القرآن ، والذين كتبوا في أسباب النزول لم يُشيروا إلى أنّ آية البحث ،والتي بعدها في غير سياقها . **الثاني** : إن الأمر الذي تضمنته الآيات من آية ٥٠ إلى آية ٥٩ واحد

---

(٦٧) تفسير القرآن الكريم . عطية العوفي ٤٧٧/١.٤٧٩ ،وتنظر مصادر المحقق في هوامش ص٤٧٧.٤٧٩.

(٦٨) الكشاف٢٩٦/١. وينظر : التفسير الكبير٢٢/١٢ .

(٦٩) قصد بـ(الآيتين) الآيتين /٥٥ . ٥٦ ،أي : آية البحث والتي بعدها .

(٧٠) الميزان٢/٦،وما بعدها .

،مع شيء من التوسّع في المُراد ،أو تخصيص ،وهذا لا يدعو إلى القول :إنّ هذه الآيات ليست في سياقها . نعم يمكن القول : إنّ الآيات لم تنزل دفعةً واحدة ،ولكنها نزلت مُتفرّقةً ، فهذا ممكن ،ولا يخفى أنّ الآيات بمجموعها تريد وحدة الأمة الإسلامية .

أمّا توجيهه معنَى (وليّكم) بالمتصرف والناصر فهو التوجيه الذي قَصَدَتْه الآيةُ المباركة .

القسم الثاني : أسباب النزول

روى الطبري آراء مختلفة فيمَن نزلت هذه الآية الكريمة ، فقال : (قيل : ١ـ إنّ هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت ،في تبرئه من ولاية يهود بني قينقاع وحِلفهم إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين .. ٢. عن السدي أنه قال : ثم أخبرهم بمَن يتولاه ، فقال : (إنما وليكم..) ـ الآية . هؤلاء جميع المؤمنين،ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائل . وهو راكع في المسجد . فأعطاه خاتَمه ..٣. حدثنا هناد بن السري،قال حدثنا عبدة،عن عبد الملك عن أبي جعفر قال : سألته عن هذه الآية ﴿إنما وليكم..﴾، قلت : مَن الذين آمنوا ؟ قال : الذين آمنوا ! قلنا : بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب ! قال : عليٌّ من الذين آمنوا)[٧١].

وأعاد الطوسي ما ذكره الطبري في أسباب النزول ،ولكن بإسناد إلى قائلين آخرين، فقال : (اختلفوا فيمَن نزلت هذه الآية فيه . ١ـ فروى أبو بكر الرازي في كتاب : أحكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه ،والطبري ،والرماني، ومجاهد ،والسدي : إنها نزلت في علي(عليه السلام)حين تصدّق بخاتمه ،وهو راكع ، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) ، وجميع علماء أهل البيت . ٢. وقال الحسن والجبائي : إنّها نزلت في جميع المؤمنين.

٣. وقال قومٌ نزلت في عبادة بن الصامت في تبرئه من يهود بني قينقاع ،وحلفهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمؤمنين .وقال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام ،وأصحابه لما أسلموا ،فقطعت اليهود موالاتهم ،فنزلت هذه الآية)[٧٢].

وروى الطبرسي في سبب النزول روايةً عن بعضهم تتصل بابن عباس وأبي ذرٍّ (رض) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فقال : (حدثنا..عن..حدثنا عن..: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)،إذ أقبل رجلٌ متعمم بعمامة ،فجعل ابن عباس لا يقول :قال رسول الله ،إلا قال الرجل : قال رسول الله ،فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه ،وقال : ياأيها الناس : من عرفني فقد عرفني ،ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي ،أنا جندب بن جنادة البدري ،أبو ذرٍّ الغفاري ، سمعت رسول

---

(٧١) جامع البيان٤/٦٢٨ . ٦٢٩.وينظر :تفسير القرآن الكريم(بحر العلوم)٣/١٠٦.١٠٩ . وحاشية الشهاب ٣/٢٥٦.٢٥٧. وعقود المرجان في تفسير القرآن١/٦١٠.٦١١ .

(٧٢) التبيان في تفسير القرآن ٣/٥٥٨.٥٥٩ . وينظر : مجمع البيان٣/٤١٩.٤٢١ .

الله(صلى الله عليه وآله) بهاتين ،وإلا صُمَّتا ،ورأيته بهاتين وإلا عَمِيَتا يقول : (عليٌّ قائد البررة ،وقاتل الكفرة ،ومنصور مَن نصره ،ومخذول مَن خذله ،أما إنّي صلّيتُ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومًا من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائلٌ في المسجد ،فلم يعطه أحدٌ شيئًا ،فرفع السائل يده إلى السماء ،وقال : اللهم اشهد أنّي سألتُ في مسجد رسول الله ،فلم يعطني أحدٌ شيئًا ،وكان عليٌّ راكعًا ،فأومأ بخنصره اليمنى إليه ،وكان يتختم فيها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ،وذلك بعين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما فرغ النبيّ (صلى الله عليه وآله) من صلاته رفع رأسه إلى السماء ،وقال : (اللهم إنّ أخي موسى سألك ، فقال : ﴿ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ،واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ،واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري ،وأشركه في أمري﴾ فأنزلت عليه قرآنًا ناطقًا : ﴿سنشدّ عضدك بأخيك ،ونجعل لكما سلطانًا فلا يصلون إليكما﴾ .اللهم وأنا محمد نبيك وصفيّك ، اللهم فاشرح لي صدري ،ويسّر لي أمري ،واجعل لي وزيرًا من أهلي عليًّا اشدد به ظهري) قال أبو ذرٍّ : فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله ،فقال : يا محمد اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال :اقرأ : ﴿إنما وليّكم الله.. ﴾ . الآية . وروى هذا الخبر أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه .وروى أبو بكر الرازي في كتاب (أحكام القرآن)على ما حكاه المغربي عنه ،والطبري ،والرماني أنها نزلت في علي حين تصدّق بخاتمه ،وهو راكع،وهو قول مجاهد والسّدي ،والمروي عن أبي جعفر،وأبي عبد الله (عليهما السلام) ،وجميع علماء أهل البيت ..وأنشأ حسان بن ثابت في هذه المناسبة :

أبا حَسَنٍ تَفديك نفسي ومُهجتي وكلُّ بَطيءٍ في الهُدَى ومُسارِعِ
أيذهب مدحيك المُحَبَّرُ ضائعًا وما المدح في جنب الإله بضائعِ
فأنتَ الذي أعطيتَ إذ كنتَ راكعًا زكاةً ،فدتك النفس يا خيرَ راكعٍ
فأنزل فيك اللهُ خيرَ وِلايةٍ وثبَّتها مثنى كتاب الشرائعِ)[٧٣].

المبحث الثالث
معنى الآية الكريمة

(٧٣) مجمع البيان٣/٤١٩.٤٢١.وينظر:التفسير الكبير ١٢/٢٣.وحاشية الشهاب٣/٢٥٧.وروح المعاني٦/٤٥٨.والأمثل٤/٢٩.٣٠ .

لا خلاف في أنّ الآية الكريمة قد أخبرت . بأسلوب القصر والحصر . أنّ لا متصرف ، ولا ناصح للمؤمنين،ولا ناصر لهم إلا ثلاثة : الله جلّ جلاله ،ورسوله(صلى الله عليه وآله)، ونفسُ رسول الله(صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؛ بما قرنَه من صفات ومؤهلات ما كانت لأحد سواه .

قال الطبري في معنى الآية المباركة هذه : (ليس لكم . أيها المؤمنون . ناصرٌ إلا اللهُ ورسولُه ،والمؤمنون الذين صفَتُهم ما ذكر تعالى ذكرُه ،فأما اليهود والنصارى الذين أمركم اللهُ أن تَبْرَأُوا من ولايتهم ،ونهاكم أنْ تتخذوا منهم أولياء ،فليسوا لكم أولياءَ ،ولا نُصَراءُ ، بل بعضهم أولياء بعضٍ ، فلا تتخذوا منهم وليًّا ،ولا نصيرا)[٧٤].

وقال الطبري في حكم إقامة الصلاة ،ودلالة ذلك : (إقامتها: أداؤها . بحدودها وفروضها والواجب فيها . على ما فرضت عليهم). وزاد قوله : (وأرى أن الصلاة المفروضة سميت (صلاة) لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله ،مع ما يسأل ربه من حاجاته ،تَعرّض الداعي بدعائه ربَّه استنجاحَ حاجاته وسُؤْله)[٧٥].

وقال الرازي . بعد ذكْرِه أنّ الآية جاءت مرتبطة بالآيات قبلها ،وأنها فيمَن تجب موالاته . وأنّ في قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾: (قولان ، **الأول** : أنّ المراد عامة المؤمنين..)، واستدل بتبرئ عبادة بن الصامت من قومه..فقال : (فعلى هذا : الآية عامة في حقّ كل المؤمنين، فكل من كان مؤمنًا فهو ولي كل المؤمنين ،ونظيره قوله تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ﴾ [التوبة:٧١] .وعلى هذا فقوله سبحانه : ﴿الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤْتُون الزّكاةَ﴾ . الآية . صفة لكل المؤمنين ..وأمّا قوله عزّ وجلّ : ﴿وهم راكعون﴾ ،ففيه على هذا القول أوجه ، **الأول** : قال أبو مسلم : المراد من الركوع الخضوع ،يعني أنهم يصلون ،ويزكون ، وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه . و**الثاني** : أن يكون المراد : من شأنهم إقامة الصلاة

---

(٧٤) جامع البيان٦٢٨/٤ .وينظر :تفسير القرآن الكريم(البحر المحيط)١٠٦/٣ـ١٠٩ .ومعاني القرآن . النحاس٢٩٢/١.ومشكل إعراب القرآن ٢٣٠/١. والتبيان في تفسير القرآن٥٥٨/٣،وما بعدها.وتفسير البغوي ٦٣/٢.والكشاف٢٩٦/١.والمحرر الوجيز٤٨٩/٤ـ٤٩١ .ومجمع البيان ٤٢١/٣ـ٤٢٣.والتفسير الكبير ١٢/ ٢٢،وما بعدها. وأنوار التنزيل١٣٢/٢.والجامع لأحكام القرآن١٤٤/٧.والبحر المحيط٥١٣/٣ـ٥١٥.وفتح القدير٥٤/٢ـ ٥٥. وروح المعاني٤٥٧/٦ـ٤٦٣.والتحرير والتنوير ١٥٩/٤ . وعقود المرجان في تفسير القرآن٦١٠/١ـ٦١١.والميزان٢/٦،وما بعدها.وتفسير القرآن الكريم (تفسير شبّر)١٤١.والتفسير الكاشف٣ /٨١ـ ٨٢.والأمثل ٣٠/٤ .٣١.

(٧٥) جامع البيان١٣٦/١ـ١٣٧.وينظر :معاني القرآن وإعرابه٧١/١.وتفسير القرآن الكريم (بحر العلوم)١/ ٢٥٧.والكشاف٢٢/١.ومجمع البيان٧٢.٦٩/١.وأنوار التنزيل٣٨/١.والبحر المحيط٣٨/١.وفتح القدير ٩١/١.

،وخصّ الركوع بالذكر تشريفًا له ،كما في قوله عزّ ذكرُه : ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة:٤٣] .
الثالث : قال بعضهم : إنّ أصحابه كانوا عند نزول هذه الآية مختلفون في هذه الصفات ؛ منهم مَن قد أتمّ الصلاة،ومنهم مَن دفع المال إلى الفقير، ومنهم مَن كان بعدُ في الصلاة . وكان راكعًا . ،فلمّا كانوا مختلفين في هذه الصفات لا جرَمَ ذَكَر الله
تعالى كل هذه الصفات . **القول الثاني** : أنّ المراد من هذه الآية شخصٌ معيّن ، وعلى هذا ففيه أقوال : **الأول** : روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر.. **الثاني** : روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام)..)[٧٦].

كان على الرازي أن يُمَحّص ما نقله قبلُ ، فقضية الولاية من أنها عامة في المؤمنين ،فذلك مخالف لمقتضى النص،وما جاء به من صفات لا تتوافر إلا في علي(عليه السلام) دون غيره.

وكذا مسألة تعيين مَن نزلت فيه الآية . بحسب رواية عكرمة . أنها في أبي بكر ، وهذه الرواية تخالف إجماع الأمة من وجهين ، **الأول** : إنّ الولي الذي يستحق ولاية المؤمنين حقًّا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو علي بن أبي طالب(عليه السلام) ؛لأنه نفس الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ولأن صفاته(عليه السلام) تؤهله وحده لذلك .وهذا موضوع يحتاج بحثه المجلدات . **الثاني** : لا خلاف بين المفسرين في نسبة الزكاة . التصدق هنا . إلى علي(عليه السلام) ،دون غيره .وبهذا تواترت الروايات جميعًا .

ثم ذكر بعدُ مسألة ثالثة نقل فيها استدلال الشيعة أنّ هذه الآية دالة على أنّ الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو علي (عليه السلام)..ثم ذهب إلى أنّ دلالة (ولي) ـ هنا . الناصر والمحب ..أو المتصرّف .أو الجمع بينهما[٧٧]. ثم خلص إلى القول : (إن الولاية في هذه الآية غير عامة في كل المؤمنين ؛بدليل أنه ذكر ﴿إنما﴾ ،وكلمة ﴿إنما﴾ للحصر..والولاية بمعنى النصرة عامة ..وهذا يوجب القطع بأنّ الولاية المذكورة في هذه الآية ليست بمعنى النصرة،وإذا لم تكن بمعنى النصرة كانت بمعنى التصرف ؛لأنّه ليس للولي معنى سوى هذين، فصار تقدير الآية :إنما المتصرف فيكم أيها المؤمنون هو الله ورسوله والمؤمنون الموصوفون بالصفة الفلانية ؛وهذا يقتضي أنّ المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه الآية متصرفون في جميع الأمة ،ولا معنى للإمام إلا الإنسان الذي يكون متصرّفًا في كل الأمة ، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على أنّ الشخص المذكور فيها يجب أن يكون إمام الأمة..وهو أنه لما ثبت ما ذكرنا وجب أنْ يكون ذلك الإنسان هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وبيانه من وجوه : **الأول** : أنّ كل مَن أثبت بهذه الآية إمامة شخص قال : إنّ ذلك الشخص هو علي(عليه السلام).. و**الثاني** :

---

(٧٦) التفسير الكبير ٢٣.٢٢/١٢ . وينظر:البحر المحيط٥١٤/٣ .
(٧٧) ينظر : التفسير الكبير ٢٣/١٢ .

تظاهرت الروايات على أنّ هذه الآية نزلت في حق علي(عليه السلام) ، ولا يمكن المصير إلى قول مَن يقول : إنها نزلت في أبي بكر ؛ لأنها لو نزلت في حقّه لدلت على إمامته ،وأجمعت الأمة على أن هذه الآية لا تدلّ على إمامته ،فبطل هذا القول. و**الثالث** : أنّ قوله ﴿وهم راكعون﴾ لا يجوز جعله عطفًا على ما تقدم ؛لأنّ الصلاة قد تقدّمت، والصلاة مشتملة على الركوع ؛ فكانت إعادة ذكر الركوع تكرارًا ، فوجب جعله حالا ،أي : يؤتون الزكاة حال كونهم راكعين ،وأجمعوا على أنّ إيتاء الزكاة حال الركوع لم يكن إلا في حق علي(عليه السلام) ؛فكانت الآية مخصوصة به،ودالة على إمامته من الوجه الذي قررناه ، وهذا حاصل استدلال القوم بهذه الآية على إمامة علي (عليه السلام))[٧٨].

وردّ الرازي على الاستدلال بإمامة علي (عليه السلام) فيما مرّ ،فقال : (والجواب : أما حمل لفظ الولي على الناصر والمتصرف معًا فغير جائز ؛لما ثبت في أصول الفقه أنه لا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معًا)[٧٩] .

إنّ منع القول : بحمل معنى (الولي)على المتصرف والناصر قول غير صحيح ،بل مذهب غريب ؛ إذ لا تنافي في الفقه بين الصفتين ، فالمتصرف يكون ناصرًا ، ولا ضير في ذلك . يقول الشيرازي : (وهناك نوع من التناسب بين الآية . موضوع البحث . والآيات السابقة واللاحقة لها ؛لأنّ الأخرى تضمنت الحديث عن الولاية بمعنى النصرة والإعانة ،بينما الآية . موضوع البحث . تحدثت عن الولاية بمعنى القيادة والتصرف ،وبديهي أنّ القائد والزعيم والمتصرف في أُمورِ جماعةٍ معيّنة يكون في نفس الوقت حاميًا ،وناصرًا ،وصديقًا ،ومحبًّا لجماعته ،أي: أنّ مسألة النصرة والحماية تعتبر من مستلزمات الولاية وشؤونها المُطلقة)[٨٠].

وذهب الرازي إلى أنّ حمل الولي في الآية على الناصر أولى ، بقرينة النهي في الآيات قبلها بشأن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء..ثم ذهب إلى أنه لا يجوز أن يكون علي (عليه السلام) إمامًا نافذ التصرّف حال حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ..ثم ذهب إلى أنّ ألفاظ الآية ذكرت المؤمنين بصيغة الجمع في سبعة مواضع ..وحمل ألفاظ الجمع . وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم ، لكنه مجاز لا حقيقة ،والأصل حمل الكلام على الحقيقة[٨١] .

وأظهر الرازي . بعد ما ذكره من استدلال غير مقنعٍ . تحاملَه ،وحقده على أنصار الحق . أنصار أهل البيت . ، فقال : (إنّ علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض ، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لآحتج بها في محفل من المحافل ،وليس للقوم أن يقولوا :

---

(٧٨) التفسير الكبير ١٢/٢٤.٢٣ .

(٧٩) التفسير الكبير ١٢/٢٤ .

(٨٠) الأمثل ٤/٣٧ .

(٨١) ينظر : التفسير الكبير ١٢/٢٤ .٢٥ . وردّ هذا الرأي كثيرون ،ينظر مثلا : الأمثل ٤/ ٣٤.٣٣ .

إنـه تركـه للتقيـة ؛لأنهـم ينقلـون عنـه تمسـكه يـوم الشـورى بخبـر الغـدير ،وخبـر المباهلـة، وجميـع فضائله ومناقبه ،ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية في إثبات إمامته ، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض . لعنهم الله[٨٢] .)[٨٣].

لا يليق بمثل الرازي أن ينزلق في مثل هذا الأسلوب ؛لأنّ الحجّة الصحيحة القوية تدمغ الحجة الضعيفة غير الصحيحة ،ولا حاجة إلى هذا اللعن لطائفة لا ذنب لها سوى اتباع الحقّ وأهله .

أمّا احتجاج الإمام(عليه السلام) بمنقبة التصدّق هذه من عدمها ،فثمة آراء في ذلك،منها :

١. أورد الشيرازي روايات عدّة في استشهاد الإمام(عليه السلام) بهذه الآية ؛لإثبات حقه في إمامةِ الأمةِ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٨٤]. ٢. إنّه لم يَحْتَجَّ بالتصدّق . هنا . ولا في مواطن أُخَر كثيرة ؛لأسباب كثيرة ،وواضحة في هذا الباب ،وفي مواطن التصدق .

٢. لقد كانت قصة السائل آيةً لعلي(عليه السلام) ،لم يُدرِك كنهها الرازي ،ولا غيره ،إذ ذَكر قسمٌ ممن روى القصة غياب السائل فور الحدث ، فقيل : إنه مَلَك. ٣. إنّ المناقب التي أكرمَ اللهُ بها عليًّا (عليه السلام) لا يمكننا نحن الوقوف عندها كلّها، ولم يَحْتَجّ بها الإمام(عليه السلام) جميعها ؛ لأنها أكثر من أن تُورَدَ في موقفٍ ما ، ولذا فلا يقوم عدم ذكرها حجّةً لدفعها عن الإمام(عليه السلام). ٤. أحسب إجماع الأمة على أمر لا يستدعي بيانه ، قد يكون مسوّغًا في ترك الإمام (عليه السلام)هذه المنقبة . إن حصل هذا . ؛ فلإطباق الأمة على ذلك .

يقول ناصر الشيرازي : (وقد تجاوز عدد الكتب التي أوردت هذه الروايات . يعني أنّ الآية نزلت في علي(عليه السلام) . الثلاثين كتابًا ،كلّها من تأليف علماء أهل السّنّة)[٨٥].

ثم جاء الرازي . بسبب ضعف حجته . بقولٍ وسطٍ ،فقال : (هب أنها دالة على إمامة علي ،لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة في الحال ؛لأنّ عليًّا ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول(صلى الله عليه وآله)،فلم يبق إلا أن تُحمل الآية على أنها تدل على أنّ عليًّا سيصير إمامًا بعد ذلك،ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه،ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان ؛إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت)[٨٦] .

---

(٨٢) هذه لغة مَن سقطَت حُجّتُه ،وأسلوب المعاند الذي ركبته أحقاده ،فعميت بصيرته عن النور .

(٨٣) التفسير الكبير ٢٥/١٢ .

(٨٤) ينظر : الأمثل ٣٦/٤ ،وتنظر مصادره .

(٨٥) الأمثل٣٢/٤ .وتنظر مصادره .

(٨٦) التفسير الكبير ٢٥/١٢ .

لا يجوز الأخذ بهذا الرأي ؛لأنّ الآية نزلت بعلي(عليه السلام) ،إن لم تكن في تعيينه إمامًا، ففي قصة التصدّق .أما أبو بكر وعمر وعثمان فلا علاقة لهم بالآية ، لا من قريب ،ولا من بعيد ،وأحسب أنّ الرازي أساء إليهم . هنا . في نسبة ما لا حقّ لهم فيه ،بدل أن يُحسِن.

ولا ندري ما يقول الرازي في تعيين أكثر من نبيٍّ في عصر واحد ؟مثلا : إبراهيم وبنوه (عليهم السلام) . ويعقوب وبنوه(عليهم السلام) .وموسَى وأخوه هارون(عليهم السلام) ،وكان في زمنهما شعيب (عليه السلام) ،الذي زوّج ابنته موسَى (عليه السلام) ،وغيرهم كثير .فلماذا الاستغربُ من تعيين عليٍّ(عليه السلام) وليًّا في عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) .

واستدل الرازي بآيات كريمات في أن دلالة (ولي) على النصرة ،وأنها عامة في تناصر المؤمنين فيما بينهم جميعًا ..كما ضَعّفَ عمل علي(عليه السلام) في أنّ تَزَكِّيْهِ كان زكاةً من وجوه ، فقال : (**الأول** : إن الزكاة اسم للواجب ،لا للمندوب ،بدليل قوله تعالى : ﴿وآتوا الزّكاة﴾ [البقرة:٤٣] .فلو أنه أدّى الزكاة الواجبة في حال كونه في الركوع لكان قد أخر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب ،وذلك عند أكثر العلماء معصية ،وأنه لا يجوز إسناده إلى علي (عليه السلام) . وحمل الزكاة على الصدقة النافلة[٨٧] خلاف الأصل.. **الثاني** : هو أنّ اللائق بعلي (عليه السلام) أن يكون مستغرقَ القلبِ بذكرِ اللهِ حال ما يكون في الصلاة[٨٨] .. **الثالث** : أنّ دفع الخاتم في الصلاة للفقير عمل كثير ،واللائق بحال علي(عليه السلام) أن لا يفعل ذلك. **الرابع** : أنّ المشهور أنه عليه السلام كان فقيرًا ،ولم يكن له مال تجب الزكاة فيه.. وإذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله تعالى : ﴿ويُؤْتُون الزّكاةَ وهُم راكعون﴾ عليه[٨٩] . **الخامس** : هب أنّ المراد بهذه الآية هو علي بن أبي طالب ، لكنه لم يتم الاستدلال بالآية إلا إذا تمّ أنّ المراد بالولي هو المتصرف،لا الناصر والمحب)[٩٠].

ما ذهب إليه الرازي من استدلالات كي يوهم أنّ عليًّا لم يقع منه التصدّق أمرٌ في غاية الوهن ،وذلك : **الأول** : إنّ العلماء مجمعون أنّ فعل علي(عليه السلام)كان فعلُه تصدقَ تطوعٍ، ولا مندوحة في فعله ذلك ،وإطالة كلام الرازي كانت في غير بابها . **الثاني** : لقد غاب عن الرازي أن صوت السائل يصكّ الأسماع ،ومَن كان مستغرقًا في الملكوت السماوي يكون أقربَ ما يكون إلى طلاب الحاجة ،وإنّ عمل الإمام(عليه السلام) كان عملا عباديًّا في آخر مثله ،فضلا عن توفيق الله في ذلك .وقد أجاد ابن الجوزي في وصف علي(عليه السلام) ،لمّا

---

(٨٧) ذهب أبو حيان إلى أنّ المراد بالصلاة ـ هنا ـ الفرائض ،وبالركوع التنفل . ينظر:البحر المحيط٣/٥١٤ .

(٨٨) ويَردّ الشيرازي بموضوعيّة شُبهَةَ الرازي وغيره هذه ،ينظر : الأمثل٤/٣٤ .

(٨٩) يَرُدّ الشيرازي على هذا بما أيّد به امتلاك علي(عليه السلام) الأموال ،والتصدق بها ،من ذلك أنه أعتق ألف رقبة من الرقيق ،كان قد اشتراهم من ماله الخاص . ينظر : الأمثل٤/٣٥ .

(٩٠) التفسير الكبير١٢/٢٧ .

سئل : كيف شعر علي بالسائل ،وهو مستغرق في جوار ربّه ،منقطع عما حوله :

يسقى ويشرب ، لا تلهيه سكرته عن النديم ، ولا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره ،حتى تمكّن من فعلِ الصّحاةِ ، فهذا أعظمُ الناسِ)[٩١]

الثالث :إنّ دفع الخاتم لم يكن فيه كثير عناء ، وقد ذكر هذا كثيرون،مثلا الزمخشري كما مرّ.

الرابع : إنّ فقر الإمام (عليه السلام) لا يمكن فهمه هكذا ، بل إنّ فقره فقر الزاهدين .زيادة على هذا إن الرازي . هنا . مردودٌ بمثل ما رُدّ به في الوجه (الأول) ؛لأنه لا خلاف بين العلماء في أنّ فعل الإمام(عليه السلام) كان متصدّقا ،لا مُزكّيًا . **الخامس** : لا يمتنع حمل معنى (ولي) على المتصرف . هنا . ، وبعد لا مانع لغوي ،ولا تشريعيّ يدفع عليًّا بن أبي طالب(عليه السلام)عمّا أراده الله له، ألم يكن هو ورسول الله (صلى الله عليه وآله) أبوَي هذه الأمة ؟وألم يكن بمنزلة هارون من موسى ؟ ألم يبلّغ عن النبي(صلى الله عليه وآله) سورة التوبة ،دون سواه ؟ وألم يكن نفسَ رسول الله(صلى الله عليه وآله) ؟وألم.. وألم.. وألم.. فما لكم كيف تَحكمون ؟

وقال أبو حيان : (والمعنى : لا ولي لكم إلا الله..)[٩٢].

الذي نتبيّنه من تدبّرنا معنى ألفاظ الآية الكريمة ،ودلالات تراكيبها ،وكذا أقوال العلماء فيها وجوبُ حَصْرِ ولاية المؤمنين بالله تعالى،وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وبالمؤمنين الذين بيّن صفتهم . وفي الآية توجيه للمؤمنين وإبلاغهم في تجنب ولاية اليهود والنصارى والكافرين . فالآية مبنيّة على محورين، **الأول** : الولاية ،ومَن هو الأَوْلَى بها بعد الله سبحانه، وبعد رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ؟

والمحور **الثاني** : تصدّق الإمام علي(عليه السلام) ،وعلاقة ذلك بالولاية في أول الآية .

المحور الأول : قدّم الطوسي في دلالة الولاية في هذه الآية الكريمة مبحثًا طيِّبًا ،فقال : (واعلم أنّ هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، بلا فصل .

ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أنّ الوليَّ في الآية بمعنى الأَوْلَى والأحقّ .وثبت أيضًا أنّ المَعْنِيَّ بقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فإذا ثبت هذان الأصلان دلّ على إمامته ؛لأنّ كلّ من قال :إنّ معنى الوليّ في الآية ما ذكرناه ،قال :إنها خاصة فيه. ومَن قال باختصاصها به(عليه السلام) قال المراد بها الإمامة .

فإن قيل : دُلُّوا أوّلاً على أنّ الوليّ يستعمل في اللغة بمعنى الأَوْلَى والأَحَقّ .ثم على أنّ المراد به في الآية ذلك ،ثم دُلُّوا على توَجُّهها إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) .

---

(٩١) ينظر : روح المعاني ٤٦١/٦.وعقود المرجان في تفسير القرآن ٦١١/١ .

(٩٢) البحر المحيط ٥١٣/٣ .

قلنا :الذي يدلّ على أنّ الوَلِيّ يفيد الأَوْلَى قول أهل اللغة للسلطان المالك للأمر : فلان ولي الأمر ، قال الكميت : ونِعْمَ وليُّ الأمر بعد وليّه ومُنتجع التقوى ، ونِعم المؤدّب

ويقولون : فلان ولي عهد المسلمين ،إذا استُخْلِف للأمر ؛لأنه أَوْلَى بمقام مَن قبله مِن غيره .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل). يريد مَن هو أولى بالعقد عليها .وقال تعالى : ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥-٦] ،يعني : مَن يكون أولى بحيازة ميراثي من بني العمّ . وقال المبرد : الوليّ والأَوْلَى بمعنى واحد ،والأمر فيما ذكرناه ظاهر ،فأما الذي يدل على أن المراد به في الآية ما ذكرناه هو أن الله تعالى نفى أن يكون لنا ولي غير الله ،وغير رسوله ،والذين آمنوا بلفظة ﴿إنما﴾ ،ولو كان المراد به الموالاة في الدين لما خص المذكورين ؛لأن الموالاة عامة في المؤمنين كلهم ، قال تعالى : ﴿والمُؤمِنُونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ﴾ [التوبة:٧١] . وإنما قلنا : إن لفظة ﴿إنما﴾ تفيد التخصيص ؛لأن القائل إذا قال :إنما لك عندي درهم ،فهم منه نفي ما زاد عليه ،وقام مقام قوله ليس لك عندي إلا درهم.. قال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حَصًى وإنما العزّةُ للكاثِرِ

أراد نفي العزّة عن مَن ليس بكاثر) ..

ووقف الطوسي عند دلالة الاختصاص في لفظ﴿وليكم﴾ ،وكذا الصيغ التي تلت ،وإن جاء ذلك بصيغ الجمع ،فقال : (ويدل أيضًا على أنّ الولاية في الآية مختصة أنه قال : ﴿وليّكم﴾،فخاطب به جميع المؤمنين ، ودخل فيه النبي (صلى الله عليه وآله) وغيره ،ثم قال

ورسوله ،فأخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من جملتهم ؛ لكونهم مضافين إلى ولايته ، فلما قال : ﴿والذين آمنوا﴾ وجب أيضًا أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية ،

وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه ،وأدى أن يكون كل واحد منهم ولي نفسه ، وذلك محال ،وإذا ثبت أن المراد بها في الآية ما ذكرناه ،فالذي يدل على أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو المخصوص بها أشياء منها :

١. أن كلّ من قال : إنّ معنى الولي في الآية معنى الأحق ،قال إنه هو المخصوص به . ومن خالف في اختصاص الآية يجعل الآية عامة في المؤمنين .

٢. إنّ الطائفتين المختلفتين . الشيعة وأصحاب الحديث . رَوَوا أنّ الآية نزلت فيه (عليه السلام) خاصّة . ٣. أنّ الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه ؛لأنه

قال : ﴿والذينَ آمَنُوا الذين يُقِيمُون الصلاةَ ويُؤْتُونَ الزكاةَ وهم راكِعُون﴾،فبيّن أنّ المَعْنِيّ بالآية هو الذي أتى الزكاة في حال الركوع ،وأجمعت الأمة على أنه لم يؤتِ الزكاة في حال الركوع

غير أمير المؤمنين (عليه السلام) .. فإنْ قيل : ما أنكرتم أن يكون الركوع المذكور في الآية المراد به الخضوع ، كأنه قال : يؤتون الزكاة خاضعين متواضعين ، كما قال الشاعر :

ولا تهين الفقيرَ علك أنْ تَرَكَعَ يومًا والدهرُ قد رفَعَه

والمراد علك أن تخضع ، قلنا الركوع هو التطأطؤ المخصوص ،وإنما يقال للخضوع ركوعًا تشبيهًا ومجازًا ؛ لأن فيه ضربًا من الانخفاض ،يدل على ما قلناه نصُّ أهل اللغة عليه .. فإن قيل : قوله سبحانه : ﴿الذين آمنوا﴾ لفظ جمع فكيف تحملون ذلك على الواحد ؟ قيل : قد يعبر عن الواحد بلفظ الجمع ،إذا كان معظمًا عالي الذكر، قال تعالى : ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩] . وقال عزّ وجلّ : ﴿ربّ ارجِعُون﴾ [المؤمنون:٩٩] .وقال جلّ اسمُه : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة:١٣] ،ونظائر ذلك كثيرة .وقال تبارك اسمُه: ﴿الذين قالَ لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جَمَعُوا لكم﴾ [آل عمران:١٧٣] ،ولا خلاف في أنّ المراد به واحد،وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.قال تعالى : ﴿أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[البقرة : ١٩٩] ،والمراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .وقال جلّت حكمته : ﴿الذين قالوا لإخوانِهم وقَعَدُوا لو أطاعونا ما قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨] ، نزلت في عبد الله بن أبي سلول .فإذا ثبت استعمال ذلك كان قوله تبارك ذكرُه : ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ محمولاً على الواحد)[٩٣] .

وبيّن الزمخشري علّة عطفِ جمعِ المؤمنين على المُفرَدَين﴿وليكم﴾و﴿رسوله﴾،فقال : (فإن قلت : كيف صحّ أن يكون لعليّ(رضي الله عنه)،واللفظ لفظ جماعة ؟قلت : جيء به على لفظ الجمع،وإن كان السبب فيه رجلا واحدًا ، ليُرغّب الناس في مثل فعله ، فينالوا مثل ثوابه ، وليُنبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان ، وتفقّد الفقراء ، حتى إنْ لَزِمَهم أمرٌ لا يقبل التأخير ،وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها)[٩٤].

وناقش الطوسي فكرة وجود إمام مع وجود النبي(صلى الله عليه وآله)،وأيد ذلك ،وسوّغه. فقال : (فإن قيل : لو كانت الآية تفيد الإمامة لوجب أن يكون ذلك إمامًا في الحال ،ولجاز له أن يأمر وينهى ويقوم بما يقوم به الأئمة .

قلنا :مِن أصحابنا مَن قال : إنه كان إمامًا في الحال ،ولكن لم يأمر لوجود النبي (صلى الله عليه وآله) ،وكان وجوده مانعًا من تصرفه ،فإذا مضى النبي (صلى الله عليه وآله) قام بما كان له .ومنهم من قال . وهو الذي نعتمده . إنّ الآية دلت على فرض طاعته واستحقاقه للإمامة، وهذا كان حاصلاً ،وأما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة ،كما يثبت استحقاق الأمر لولي العهد في حياة الإمام الذي قبله ،وإن منع من التصرف وجود الموصي ،وكذلك القول في الأئمة .

---

(٩٣) التبيان في تفسير القرآن٣/٥٦٢ . وينظر: مجمع البيان٣/٤٢١.٤٢٣.وروح المعاني٦/٤٥٨ .

(٩٤) الكشاف١/٢٩٦ .وينظر:البحر المحيط٣/٥١٤ .

فإن قيل : أليس قد روي أنها نزلت في عبادة بن الصامت ،أو عبد الله بن سلام وأصحابه ،فما أنكرتم أن يكون المراد بـ﴿الذين آمنوا﴾ هم دون من ذهبتم إليه .

قلنا : أول ما نقوله : إنّا دللنا على أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين(عليه السلام) بنقل الطائفتين ،ولما اعتبرناه من اعتبار الصفة المذكورة في الآية ،وأنها ليست حاصلة في غيره بَطُل ما يروى في خلاف ذلك ،على أن الذي روي في الخبر من نزولها في عبادة الصامت لا ينافي ما قلناه ؛لأن عبادة لما تبرأ من حلف اليهود أعطي ولاية من تضمنته الآية،فأما ما روي من خبر عبد الله بن سلام فبخلاف ما ذهبوا إليه ؛لأنه روي أن عبد الله بن سلام لما أسلم قطعت اليهود حلفه ،وتبرؤوا منه ،فاشتد ذلك عليه ،وعلى أصحابه ،فأنزل الله تعالى الآية تسلية لعبد الله ابن سلام وأصحابه ،وأنه قد عوضهم من محالفة اليهود ولاية الله،وولاية رسوله وولاية الذين آمنوا .

والذين يكشف عما قلناه أنه قد روي أنها لما نزلت خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من البيت ،فقال لبعض أصحابه (هل أعطى أحد سائلاً شيئًا ؟ فقالوا : نعم يا رسول الله قد أعطى علي بن أبي طالب السائلَ خاتمَه ،وهو راكع ،فقال النبي (صلى الله عليه وآله) الله أكبر قد أنزل الله فيه قرآنا) ،ثم تلا الآية إلى آخرها . وفي ذلك بطلان ما قالوه)[٩٥].

وقال الزمخشري : (ومعنى ﴿إنما﴾ وجوب اختصاصهم بالموالاة . فإن قلت : قد ذُكِرَت جماعةً فهلا قيل : إنما أولياؤكم ؟ قلت :أصل الكلام : إنما وليكم الله ،فجُعِلَت الولاية لله على طريق الأصالة ،ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله(صلى الله عليه وآله) والمؤمنين على سبيل التبعِ ، ولو قيل : إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا ،لم يكن في الكلام أصل وتبع)[٩٦].

ويُفهَم من إيراد الولاية . هنا . أمورٌ منها : ١. حصر الولاية بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وبالمؤمنين ،وذكر صفتهم . وأنه ذكر المؤمنين جمعًا ،وقصد بذلك واحدًا ،هو علي بن أبي طالب(عليه السلام) . ٢ـ من يتخذ الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين وليًّا سيكون هو الأقوى والأرشد . ٣. جاءت الولاية في الآية بهذا الترتيب لتؤكد للمؤمنين أن اليهود والنصارى والكفار بعضهم أولياء بعضٍ،ولا يمكن التصوّر أنهم سيُفرِّطون بولاية قومهم مكان ولاية المؤمنين من المسلمين . ٤ـ ترشدنا الآية إلى وجوب تَمَسّكِنا بولاية الله تبارك وتعالى ،وبرسوله (صلى الله عليه وآله) ،وبأخواننا من المؤمنين ؛بيانًا لاستقلالنا عن بقية الملل ، وللدلالة على شخصية المؤمنين دون بقية الأمم ،وتميّزهم في ذلك ، وبيان وحدتهم من دون أبناء الديانات الأُخر.

---

(٩٥) التبيان في تفسير القرآن ٣/٥٥٩.٥٦٤ . وينظر :مجمع البيان٣/٤٢٢.٤٢٣ .

(٩٦) الكشاف١/٢٩٦ . وينظر : التفسير الكبير١٢/٢٧ .

المحور الثاني : . إنّ الحديث في آخر الآية المباركة كان صفة للمؤمنين الجديرين بأن يكونوا أولياء وأئمة للمؤمنين،ويمكن أن يتولوا إمامة الأمة على وفق الرعاية التامة لشهؤونهم، والرأفة بهم إلى درجة تجعلهم كأنهم آباؤهم، وحرصهم على مصالحهم ،والأخذ بأيديهم في جادة الحق والهدى .وختم الحديث في هذا الجزء من الآية بـ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وهنا تظهر أمور لابد من استجلائها دفعًا لِلَّبْس ، وذلك :

١ـ لا خلاف بين علماء المسلمين في أنّ المتصدق بخاتمه هو الإمام علي (عليه السلام) بإجماع الأمة ،ولم تُسْنَد هذه المنقبةُ لغيرِه من الصحابة ،فهذا التَّصَدُّق كان حصرًا عليه .

٢. جمهور العلماء يذهبون إلى فعل الإمام علي (عليه السلام) كان تصدقًا تطوعًا ،وليس فرضًا من باب الزكاة ، ولا من باب الصدقة الواجبة .

٣. روى العلماء أنّ حال الإمام علي (عليه السلام) . وقد أعطى خاتمه للسائل . لا تعدو حالين :

الأولى : أنه كان في حال خشوع وخضوع ،وتذلل لله ،فقد كان يستذكر ربه ، ويستغفره ، وهذا المعنى مفهوم من دلالة مادة (ركع) التي تعني الخضوع ،والخشية ،والتذلل كما مر ذلك في معنى (راكعون) قبلُ . وقال الزمخشري في قوله سبحانه : ﴿وهم راكعون﴾ : (الواو فيه للحال ،أي:يعملون ذلك في حال الركوع ،وهو الخشوع ،والإخبات والتواضع لله إذا صَلُّوا ،وإذا زكّوا .وقيل :هو حال من يؤتون الزكاة ، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة ،وأنها نزلت في عليّ (كرم الله وجهه) حين سأله سائل ،وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه ،كأنه مرجًا في خنصره ،فلم يتكلف لخلعه كثير عما تفسد بمثله صلاته)[٩٧].

الحال الثانية : يحتمل أنّ الإمام علي (عليه السلام) كان في حال صلاة تطوع (نافلة) ،لا فرضًا ، وهذا ما يؤيده وقت الحدث ،إذ لو كان الوقتُ وقتَ صلاةِ فريضة لكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) في داخل المسجد ،ويكون قد رأى الحدث بعينه ،ولَكان الحدث واقعًا والمسلمون يؤدون الصلاةَ المفروضة ،ولما اختُلِف في ذلك ،أصلاةَ فرضٍ كانت أم صلاة تطوّع ،وتنفّل ؟

وهذا العمل (التصدق) لاينافي شروط إقامة الصلاة عمومًا ،ولا في حال المصلي ، سواء أكانت الصلاة نافلة أم فرضًا ،فهو عمل عبادي داخلٌ في عمل عباديّ آخر ،وقد رُوِى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه كان قد أدّى بعض الحركات في أثناء صلاة الفرض .

والذي نلحظه من السياق الذي ضَمَّ الآية ـ موضوع البحث . أنّ مفاهيمها ،ومضامينها ومعانيها لم تخرج عن مفاهيم ومضامين ومعاني الآيات التي قبلها ،والتي بعدها . فثمة موضوع أشارت إليه الآيات تلك جميعًا ،وإن تفردت آيةُ البحث بتحديد قضيةٍ معيّنة ،ذلك أنها قد حصرتِ الولايةَ بـ(الله) عزّ ذكرُه ،وهو ولي الخَلْق جميعًا من دونما استثناء ،وبـ(رسوله) (صلى الله عليه

---

(٩٧) الكشاف١/٢٩٦ . وينظر : التفسير الكبير ٢٧/١٢ .وروح المعاني٦/٤٦٠ .

وآله) الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وبـ(المؤمنين) . وجاء ذكر المؤمنين . هنا . بعد إفرادين ،فالله تبارك اسمُه واحد لفظًا متوحد في صفاته ،وقدرته ، وحكمته . وكذا (رسوله) لفظه لفظ الواحد ، وكذا كينونة .

غير أنّ دلالةَ المعطوف على لفظ الجلالة (الله) ،وعلى رسوله(صلى الله عليه وآله) جاء بصيغ إسناد للجمع ،أو بوصفٍ به كذلك ،وهذا ما دفع بعض المفسرين إلى جعل سبب نزول أول الآية في أمرٍ ،أو حدثٍ هو غيره في تعبيرِ آخرِها . وهذا ما يدفع الباحث الموضوعيّ أن يتدبّر بدقةٍ . بما يوفقه الله تبارك وتعالى إليه . دلالة الإسناد إلى واو الجماعة في (آمَنُوا) و(يُقِيمُونَ) ،و(يُؤْتُونَ) ،والألفاظ الدالة على الجمع : (الذين) . مرّتين . ،و(هم) و(رَاكِعُونَ)، فهذه سبعة ألفاظ . والسؤال : لماذا جاءت هكذا ؟ أمقصودٌ بها الجمع حقًّا أم المرادُ أمر آخر؟

ونحن بعد استعانتنا بالله وتوفيقه نقول : ١ـ إنّ الصفات الإيمانية المار ذكرُها في آية البحث وما سبقها وما تلاها من آيات قد تمثلت في علي (عليه السلام) تمامًا ،دون سواه .

٢. ورد في لغة العرب أمثلةٌ كثيرة في التعبير بألفاظ المجموع والمقصود واحد هو الذي قام بالفعل ،نحو: قتل بنو فلانٍ فلانًا ،والقاتل أحدهم،لا جميعهم .وكذا كثير منه في القرآن الكريم، وقد مرّ ذكره .

إنّ هذا الأسلوب من أساليب اللغة العربية ،ويكون إيراده من باب المبالغة ، والتعظيم ، وتحبيب هذا الفعل الذي يتصف به خيرُ المؤمنين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) ،فهو أقربهم إلى الله تلبيةً ،وذَوَبانًا في الذات الإلهية ،حُبًّا وإيمانًا وتطبيقًا ، وأصدقهم في الامتثال لأوامر الله ،والانتهاء عما نهى عنه تبارك وتعالى . وأول المؤمنين برسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، وألصقهم بشخص النبي (صلى الله عليه وآله) روحًا وفهمًا واستجابةً، فجُعِل ذكرُه . وإن كان فردًا . بالجمع ؛ لأنه لعمري أمة في رجل .

وننقل ما رواه الرازي في ذات علي (عليه السلام) ،ونحسب فيه ما لا يدع ريبًا في كينونة هذا العبد ، وما له من قدسية إنسانية عند الله تعالى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قال الرازي في دلالة الذات عن كعب بن عجرة عن أبيه (رض) قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : (لا تسبُّوا عليًّا ؛ فإنه كان مخشوشًا في ذات الله)[٩٨].

وزاد محقق تفسير الرازي في تعليقه على هذه الرواية ، قوله : (روى أحمد نحوه في مسنده : (٨٦/٣) : عن أبي سعيد الخدري بلفظ : (أيها الناس لا تَشْكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشّ في ذات الله ، أو في سبيل الله)[٩٩].

---

(٩٨) التفسير الكبير ١٢٢/١.

(٩٩) هامش رقم : ٣ ، ص ١٢٢ ، ج١، من التفسير الكبير .

وجمع ناصر الشيرازي اعتراضات المُصِرِّين على أنّ نزول الآية في غير عليّ (عليه السلام) ،وسمّى عنوان مبحثه هذا بـ : (الردّ على اعتراضاتٍ ثمانية) ،والاعتراضات مرّت في بحثنا قبلُ ،وأغلبها للرازي ،وقد ردّها الشيرازي ردًّا موضوعيًّا ،يمكن العودة إليه[١٠٠] .

أقول : أبعد هذا وغيره ثمة شكوك في دلالة الآية المباركة في كون المَعْنِيِّ بـ(ولي المؤمنين) ،أي : إمامهم ، غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟

وأقول قد يكون ثمة مُعاندٌ مِمَّن في قلبه مرضٌ ، فعميت بصيرته ، فقاده ضلاله إلى أن يُحرّف القول عن دلالاته ،ممن اشتروا الحياة الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة .

المبحث الثالث

القسم الأول : الإعراب

إنما : إنّ : حرف مشبه بالفعل ،يفيد التوكيد . ما : كافة(كفت إنّ عن عملها) مزيدة للتوكيد .
وليّكم : وليّ : خبر مقدّم مرفوع..ومضاف. الكاف : ضمير مبني في محل جرٍّ بالإضافة .
والميم : علامة الجمع . الله : لفظ الجلالة مبتدأ مؤخر مرفوع.. ورسوله: الواو: حرف عطف .
رسول : اسم معطوف على لفظ الجلالة ﴿الله﴾ مرفوع.. ومضاف إلى ضمير (الهاء). وجملة

(١٠٠) ينظر : الأمثل٤/٣٣.٣٧ .

﴿إنما وليكم الله﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب . والذين : الواو : عاطفة. الذين : اسم موصول مبني في محل رفع معطوف على لفظ الجلالة ﴿الله﴾ ،أو على (رسول).
آمنوا : ماضٍ مبني.. واو الجماعة : فاعل .والجملة الفعلية ﴿آمنوا﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب . الذين : اسم موصول مبني في محل رفع بدل من ﴿الذين﴾ قبلها . ويجوز أن تُعرب خبرًا ،على تقدير : هم الذين يقيمون . أو نصبًا على المدح[١٠١] . أو : صفةً لـ (الذين) قبلها. يقيمون : مضارع مرفوع.. واو الجماعة : فاعل . الصلاة : مفعول به منصوب.. والجملة الفعلية ﴿يقيمون﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .
ويؤتون : الواو : عاطفة . يؤتون : مضارع مرفوع.. واو الجماعة : فاعل .الزكاة : مفعول به منصوب.. وجملة ﴿يؤتون﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة الصلة ﴿يقيمون﴾ .
وهم : الواو : حالية . هم : ضمير رفع منفصل مبني في محل رفع مبتدأ . راكعون : خبر مرفوع.. والجملة الاسمية ﴿وهم راكعون﴾ في محل نصب حال[١٠٢]. وجوّز بعضهم إعرابها صفةً للمؤمنين ،وهو إعراب بعيد .

القسم الثاني : نتائج البحث

اختلف العلماءُ كثيرًا في أسباب نزول الآية الكريمة ،وكذا في دلالةِ قسمٍ من مفرداتها، وتراكيبها ، ومَن المَعْنِيّ بها ؟ وكذا في دلالة الولاية ،والركوع ،وعلاقة أول الآية بآخرها. وبعد تدبّر معاني ألفاظ الآية ،ودلالات تراكيبها ،ودراسة آراء العلماء في مضامينها توصل البحث إلى النتائج الآتية :
١. الآية وردت في سياق مضمون الولاية والنصرة والمودّة ،فقد جاءت بالبديل الذي يتولّى شؤون المؤمنين ،ابتداءًا بالله تعالى في علاه ،والله مولى النبي(صلى الله عليه وآله)والمؤمنين كافة .

---

(١٠١) بيّن الزمخشري أنّ دلالة نصب (الذين) على المدح : (فيه تمييز للخُلَّصِ من الذين آمنوا نفاقًا ،أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مُفرطون في العمل) : الكشاف١/٢٩٦ .
(١٠٢) وبيّن الزمخشرى دلالة الإعراب على الحال . هنا . فقال : (أي : يعملون ذلك في حال الركوع ، وهو الخشوع والإخباتُ ، والتواضع لله إذا صلوا ،وإذا زَكّوا . وقيل :هو حال من يؤتون الزكاة ، بمعنى يُؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة) : الكشاف١/٢٩٦.

ومُثَنِّيًا برسول الله (صلى الله عليه وآله) في أرض الله ؛ ليكون قريبًا من المؤمنين ؛ مُلامِسًا لشؤونهم . مُثلِّثًا بالذين آمنوا ؛ قاصدًا بهم . من خلال الصفات الموصوف بها . علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؛ ليكون تلبيةً لولاية الله سبحانه وتعالى في أرضه ، وبين عباده بعد رسوله(صلى الله عليه وآله) ،ومُنفِّذًا أوامره ،ومُؤمنًا بما أنزل عزّ وجلّ، واستمرارًا لولاية الرسول (صلى الله عليه وآله) ؛لأنّ المسلمين مُجمِعون على روايةِ أنّ عليًّا نفسُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ،وقد رُوِيت في ذلك روايات كثيرة، أقرب مواردها آية المباهلة ، وقصة التبليغ بسورة (براءة) ـ إذ كلّف بها عليٌّ بدلا من أبي بكر ـ .وحديث الثقلين. وحديث الكساء ،وقصة اختياره لفتح خيبر، وحديث المنزلة ..وغير ذلك مِمّا لا يُحصَى .

٢ـ الآية المباركة ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ..﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير الحكم فيمن هو الأَوْلَى بأن يكون وليًّا للمؤمنين .بل فيه تعيين للوَلِيّ ، فذكر أوّلا : الله سبحانه . وثانيًا رسوله (صلى الله عليه وآله) ؛ ولم يحتج ذكرهما إلى مزيد توصيف . أمّا الوليّ الثالث . وهو من المؤمنين . فقد اقتضَى تحديدُه إلى مزيد تفصيل ،وبيان صفاته التي تؤهله للولاية دون سواه ، بحيث لا يُشكّ في تعيينه ؛ كي لا يُشركه أحدٌ في ذلك وهذا ما جاءت به تعبيرات الآية الكريمة بعدُ .

٣ . وكَّد أُسلوب الحصر بـ﴿إِنَّمَا﴾ النهي في الآيات التي مضت قبل هذه الآية ؛لأنّ ﴿إِنَّمَا﴾ مخصصة لما أثبت بعدها ،نافية لما لم يثبت . وقد جيء بهذا الأسلوب ليوكّد للمؤمنين ألاّ يتخذوا اليهودَ والنصارى والكفارَ أولياء ،و يقدّم هذا الأسلوب البديل . كذلك . فيمَن تكون تلك الولاية ،فأفاد هذا التعبيرُ تقريرَ الحكم فيمَن يوالي الله ورسوله والمؤمنين .

٤ـ وقال الآلوسي دلالة (وليكم): (ويحتمل وجهًا آخر ،وهو أنّ وليًّا زنة(فعيل) ،وقد نصّ أهل اللسان أنه يقع للواحد والاثنين والجمع تذكيرًا وتأنيثًا بلفظ واحد . كصديق . ،غير واقع موقعه ؛ لأنّ الكلام في سر بياني ،وهو نكتة العدول من لفظ إلى لفظ)[١٠٣].

٥. عَنَتِ الآيةُ بـ(الذين آمنوا) أحدَ المؤمنين من جهتين ، **الأولى** : إنّه ورد في الأسلوب العربي تعبير الجمع وقُصِد به المفرد . كما مرّ في البحث . . **الثانية** : إنّ تَمَثُّلَ الصفاتِ التي أوردتها الآيةُ للذين آمنوا لم تتمثل تمثُّلا حقيقيًّا إلا في علي(عليه السلام) ، فضلا عن الحال في قوله تعالى : ﴿وهم راكعون﴾ ،ما كانت إلا في علي(عليه السلام) بإجماع المسلمين.

٦ـ لا يُنافي القول : إنّ سبب نزول الآية كان في تبرّي عبادة بن الصامت من قومه اليهود ، والقول : إنها في عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ؛ فالسبب هو لطمأنة عبادة بن الصامت وغيره ، وتأنيسه بأن لا يبتئس في قطيعة قومه إياه ؛ فالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ،

(١٠٣) روح المعاني٦/٤٥٧ .

والمؤمنون ؛ متمثلين بعلي (عليه السلام) أصبحوا أولياءَه . وأنها عيّنت من يكون من المؤمنين وليًّا لهم ، فحددته بما وصفته ،وبهذا يكون السبب والتعيين واحدًا في قصد النصّ الكريم.

٧. على الرغم من أنّ دلالة الركوع يمكن حملها على الخضوع والخشية لله ، وليس الركوع الذي هو من أركان الصلاة .وبهذا المعنى لا وجهَ للاعتراض على التصدق في الركوع المذكور في الآية .وقد رُوِيت أحاديث كثيرة في فضل التفكير بالله وعظمته ،وأنها خيرُ عبادةٍ[١٠٤]، من ذلك قوله(صلى الله عليه وآله) : (تفكر ساعة خيرٌ من قيام ليلة) .و : (تفكر ساعة خيرٌ من قنوت ليلة) .و : (تفكر ساعة خيرٌ من عبدة ستين سنة) .و: (التفكر في عظمة الله وجنته وناره ساعة خيرٌ من قيام ليلة) . و: (خير الناس المتفكرون في ذات الله .وشرّهم من لا يتفكر في ذات الله..) ،وأمثالها كثير في كتب الحديث .

وعلى فرض أنّ الإمام كان يصلي ، فهو في صلاة نافلة .وكذا لو فُرِض أنه كان في صلاة الفرض فلا ضيرَ في ذلك . أيضًا . ،فقد رُوي حصول بعض الحركات اليسيرة من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلاته ،فلا تبطُل الصلاة في ذلك . والله وحده أعلم بما أنزل ..

٨. أجمع العلماءُ أنَّ الزكاة قصد بها . هنا . التصدّق ،وليس مصطلح الفرض المعروف .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

==========

١. أساس البلاغة. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) . تحـ. عبد الرحيم محمود . ط١. مطبعة أولاد أورفاند ١٣٧٢هـ . ١٩٥٣م.

٢ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه . محيي الدين الدرويش . ط٣ـ دار الإرشاد . سورية . ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٣. الأفعال . أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بـ(ابن القطاع) (ت٥١٥هـ) . ط١ـ بمبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية . حيدر آباد الدكن ١٣٦٠هـ .

(١٠٤) تنظر هذه الأحاديث في : النهاية في غريب الحديث،رقم الحديث/٥٧١٢ . وفي كنز العمال ١٠٧.١٠٦/٣ .و: ١١١/٤.

٤ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ناصر مكارم الشيرازي . ط٢ . مطبعة الأميرة . بيروت . لبنان١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .
٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،المعروف بـ (تفسير البيضاوي) ـ ناصر الدين أبوالخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ) ـ إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي . دار إحياء التراث العربي . بيروت ،لبنان (د.ت).
٦. البحر المحيط . أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) . ط٢ـ دار إحياء التراث العربي ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.
٧ـ البيان في تفسير القرآن . أبو القاسم الخوئي . ط٣ . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .
٨. التبيان في تفسير القرآن . محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) . تحـ. حبيب قيصر العاملي . ط١. مطبعة سليمان زادة . قم . إيران ١٤٣١هـ. ق .
٩. التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور . الدار التونسية للنشر . تونس ١٩٨٤م.
١٠ . التحقيق في كلمات القرآن الكريم . حسن المصطفوي . ط٣ . دار الكتب العلمية . لبنان١٤٣٠هـ .٢٠٠٩م .
١١ـ تفسير البغوي (المسمّى معالم التنزيل) ـأبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) . تحـ.عبد الرزاق المهدي . ط١ـ دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .
١٢. تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر) . عبد الله شبر . راجعه د. حامد حفني داود . ط٢ . القاهرة ١٣٨٥هـ .١٩٦٦م.
١٣ـ تفسير القرآن الكريم (تفسير عطية بن سعد بن جنادة العوفي . ت ١٢٧هـ) . تحـ.عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين . ط١. قم . إيران١٤٣١هـ . ١٣٨٨هـ. ش.
١٤. تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) . أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) . دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم أحمد الزقة . ط١ . مطبعة الإرشاد . بغداد ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
١٥. التفسير الكاشف . محمد جواد مغنية . ط١ . مطبعة أسوة . ١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م.
١٦. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) . فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٤هـ) ـ تحـ.عماد زكي البارودي . المكتبة التوقيفية . مصر . القاهرة ٢٠٠٣م.
١٧ـ تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ـ إشراف وتعليق وتقديم مجموعة من الأساتذة . ط١. دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.
١٩ـ الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي) ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ـ تحـ.محمد بيومي،وعبد الله المنشاوي . مكتبة جزيرة الورد،ومكتبة الإيمان . القاهرة (د.ت) .
٢٠ـ جمهرة اللغة . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) ـ علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين . ط١. دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
٢١ـ حاشية الشهاب (المسمّاة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) ـ دار إحياء التراث العربي ،ومؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان (د.ت) .
٢٢ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي . تحـ. محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي . ط١ـ دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٢٣ـ الزينة في الكلمات الإسلامية العربية . أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ) ـ عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني . القاهرة١٩٥٨.
٢٤ـ سرّ صناعة الإعراب . أبو الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ) ـ تحـ.الدكتور حسن هنداوي . ط١ـ دمشق ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
٢٥. عقود المرجان في تفسير القرآن . نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ) . تحـ. مؤسسة

شمس الضحى الثقافية . إحياء الكتب الإسلامية . قم . إيران ١٤٢٥هـ .
٢٦ـ العين . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ـ تحـ. د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي . دار الرشيد للنشر . بغداد ١٩٨٢م.
٢٧ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) ـ تحـ د.عبد الرحمن عميرة . ط١ـ دار الوفاء . المنصورة ١٤١٥هـ . ١٩٩٤,
٢٨ـ في النحو العربي قواعد وتطبيق . الدكتور مهدي المخزومي ط١ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . بمصر ١٣٨٦هـ . ١٩٦٦م .
٢٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ـ مصححة على نسخة خطية ، د.عبد الرزاق المهدي . ط١ـ دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .

٣٠. لسان العرب . أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بـ (ابن منظور ت٧١١هـ) . دار الحديث . القاهرة ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م.
٣١. مجالس العلماء . أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) . تحـ.عبد السلام محمد هارون . الكويت ١٩٦٢م .
٣٢. مجمع البيان لعلوم القرآن . أبو علي الفضل بن الحسن الطّبَرسي (ت ٥٤٨هـ) . مؤسسة الهدى . طهران ١٤١٧هـ . ١٩٧٠م.
٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) . تحـ.عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ،وآخرَين . طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر . ط١. الدوحة ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .
٣٤. المحيط في اللغة . الصاحب اسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ) . تحـ. محمد حسن آل ياسين . دار الحرية للطباعة . وزارة الثقافة والإعلام . الجمهورية العراقية . بغداد ١٩٨١م .
٣٥. مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) . دار الرسالة . الكويت ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م.
٣٦. مشكل إعراب القرآن . أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) . تحـ. د.حاتم صالح الضامن . منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية ١٩٧٥م.
٣٧. المصباح المنير . أحمد بن محمد المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) . ط٣. مؤسسة دار الهجرة . إيران . قم ١٣٢٥هـ.ش.
٣٨. معاني القرآن . أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) . تحـ.د.يحيى مراد . دار الحديث . القاهرة ١٤٢٥هـ .٢٠٠٤م.
٣٩. معاني القرآن وإعرابه . أبو اسحق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت٣٣١١هـ) . تحـ.د. عبد الجليل عبده شلبي . دار الحديث . القاهرة ١٤٢٤هـ .٢٠٠٤م.
٤٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر . بيروت ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
٤١. المعجم الوجيز . مجمع اللغة العربية في القاهرة . المركز العربي للثقافة والعلوم (د.ت).
٤٢. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية في القاهرة . قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون . ط٢. مطبعة باقري إيران ١٤٢٧هـ ق . ١٣٨٥ش هـ .
٤٣. المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ) . تحـ محمد سيد الكيلاني . دار المعرفة . بيروت لبنان (د.ت).
٤٤. مقاييس اللغة . أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) . تحـ.عبد السلام محمد هارون . إيران (د.ت).

٤٥ـ مقدمتان في علوم القرآن . المقدمة الثانية :مقدمة ابن عطية لتفسيره (الجامع المحرر) ـ تصحيح : الدكتور أُرثر جفري . الناشر مكتبة الخانجي . مصر ١٩٥٤م.
٤٦ـ الميزان في تفسير القرآن . السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠هـ) ـ دار الكتب الإسلامية . طهران ١٣٧٩هـ ش.